

❖ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ** وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ^{٤٤}
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ **آيَنَ شُرَكَائِي** قَالُوا **ءَاذَنَّاكَ** مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ^{٤٥} وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ^ط
 وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ^{٤٦} لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ^{٤٧}
 وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ^{٤٨}
 وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ^{٤٩}
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ^{٥٠}
 سَرِيهِمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ^{٥١} أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
 أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^{٥٢} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ^{٥٣} أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ^{٥٤}

هذا إخبار عن سعة علمه تعالى و اختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه فقال: **(إِلَيْهِ يُرَدُّ)** يُرْجَع

(عِلْمُ السَّاعَةِ) جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى، و يقرون بالعجز عنه، الرسل و الملائكة، و غيرهم.

*** كَمَا قَالَ ﷻ وَهُوَ سَيِّدُ الْبَشَرِ لِيُجَبِّرِلَ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ -حِينَ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ
 فَقَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النَّازِعَاتِ: ٤٤]

(وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) وعائها الذي تخرج منه، و هذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان
 و البراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا و هو يعلمها علما تفصيليا.

(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) من بني آدم و غيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه **(وَلَا تَضَعُ)** أنثى حملها

(إِلَّا بِعِلْمِهِ) فكيف سوى المشركون به تعالى، من لا علم عنده و لا سمع و لا بصر؟

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) ينادي الله (المشركين به يوم القيامة توبيخاً و إظهاراً لكذبهم) فيقول لهم: **(آيَنَ شُرَكَائِي)**

الذين زعمتم أنهم شركائي، فعبدموهم، و جادلتم على ذلك، و عاديتهم الرسل لأجلهم؟

(قَالُوا) مقربين ببطان إلهيتهم، و شركتهم مع الله: **(ءَاذَنَّاكَ)** أعلمناك يا ربنا **(مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)** و اشهد علينا أنه

ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم و شركتهم فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها و تبرأنا منها ^{٤٧}

و لهذا قال:- **(وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ)** من دون الله-ذهبت عقائدهم و أعمالهم التي أفنوا فيها

أعمارهم على عبادة غير الله، و ظنوا أنها تفيدهم، و تدفع عنهم العذاب، و تشفع لهم عند الله

فخاب سعيهم، و انتقض ظنهم، و لم تغن عنهم شركاؤهم شيئاً

(وَضَنُّوا) أيقنوا في تلك الحال (مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ) منقذ ينقذهم، و لا مغيث و لا ملجأ فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، و عدم صبره و جلدته، لا على الخير و لا على الشر إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال ﴿٤٨﴾

(لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) الدنيوى-لا يمل دائماً من دعاء الله، في الغنى و المال و الولد و غير ذلك من مطالب الدنيا، و لا يزال يعمل على ذلك و لا يقتنع بقليل، و لا كثير منها، لو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة.

(وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) المكروه، كالمرض، و الفقر، و أنواع البلى (فَيَتَوَسَّسُ قَنُوطٌ) بسوء الظن بربه-يأس من رحمة الله تعالى يظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك و يتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب و يطلب. إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات،

فإنهم إذا أصابهم الخير و النعمة و المحاب:-

١- شكروا الله تعالى ٢- و خافوا أن تكون نعم الله عليهم [استدراجاً و إمهالاً]

و إن أصابتهم مصيبة، في أنفسهم و أموالهم، و أولادهم:-

صبروا، و رجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا ﴿٤٩﴾

ثم قال تعالى: (وَلَيْنَ آذَقْتَهُ) الإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، و إن مسه الشر فيئوس قنوط

(رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ) بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره،

فإنه لا يشكر الله تعالى، بل ييغى، و يطغى و يقول: (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أتاني لأني له أهل، و أنا مستحق له

(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) و هذا إنكار منه للبعث، و كفر للنعمة و الرحمة، التي أذاقها الله له.

(وَلَيْنَ تُجِيعُ إِلَى رَيْتٍ) -على تقدير إتيان الساعة، و أني سأرجع إلى ربي (إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَ) (

فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل لي في الآخرة و هذا من أعظم الجراءة و القول على الله

بلا علم فلهذا توعده بقوله:- (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد جداً. ﴿٥٠﴾

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) بصحة، أو رزق، أو غيرهما (أَعْرَضَ) عن ربه و عن شكره (وَنَآ) ترفع (بِجَانِبِهِ) (

عجبا و تكبراً) (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) المرض، أو الفقر، أو غيرهما (فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير جداً، لعدم صبره

فلا صبر في الضراء، و لا شكر في الرخاء، إلا من هداه الله و من عليه-يُطِيلُ الْمَسْأَلَةَ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ

فَالْكَلَامُ الْعَرِيضُ:- ما طَالَ لَفْظُهُ وَ قَلَّ مَعْنَاهُ وَ الْوَجِيزُ: عَكْسُهُ، وَ هُوَ: مَا قَلَّ وَ دَلَّ ﴿٥١﴾

(قُلْ) لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) هذا القرآن

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) من غير شك و لا ارتياب (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)

أي: معاندة لله و لرسوله، لأنه تبين لكم الحق و الصواب ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل و جهل ﴿٥٢﴾

فإذا تكونون أضل الناس و أظلمهم (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) فإن قلتم، أو شككتهم بصحته و حقيقته،

فسيقم الله لكم، و يريكم من آياته في الآفاق كآيات التي في السماء و في الأرض،

و ما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

-مِنَ الْفُتُوحَاتِ وَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ.

- وَفَعَهُ بَدْرٌ وَ فَتَحَ مَكَّةَ وَ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ نَصْرَ اللَّهِ فِيهَا مُحَمَّدًا وَ صَحْبَهُ وَ خَذَلَ فِيهَا الْبَاطِلَ وَ حَزَبَهُ.

(وَفِي أَنْفُسِهِمْ) مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله و عجائب صنعته و باهر قدرته

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَ فِيهِ وَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَ الْأَخْلَاطِ وَ الْهَيْئَاتِ

الْعَجَبِيَّةِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى

○ وَ كَذَلِكَ مَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنْ حَسَنِ وَ قَبِيحٍ وَ بَيْنَ ذَلِكَ

○ وَ مَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ حِيلِهِ وَ حَذَرِهِ أَنْ يَجُوزَهَا وَ لَا يَتَعَدَّهَا

○ و في حلول العقوبات و المثالات في المكذبين، و نصر المؤمنين

(حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك (أَنَّهُ الْحَقُّ) و ما اشتمل عليه حق. و قد فعل تعالى،

فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين لهم أنه الحق و لكن الله هو الموفق للإيمان من شاء و الخاذل لمن يشاء.

(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

فإنه قد شهد له بالتصديق، و هو على كل شيء شهيد و لا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى

○ أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، و من جاء به صادق بشهادة الله تعالى؟

فإنه قد شهد له بالتصديق و هو أصدق الشاهدين و أيده و نصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية عند من شك

فيها- كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَ أَقْوَالِهِمْ، وَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ،

كَمَا قَالَ: {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ} [النساء: ١٦٦] ﴿٥٣﴾

(أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ)

من البعث و القيامة و ليس عندهم دار سوى الدار الدنيا فلذلك لم يعملوا لآخرة، و لم يلتفتوا لها

(أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) علما و قدرة و عزة ﴿٥٤﴾

٤٢-الشورى-مكية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ عَسَىٰ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ^٤ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ^٥ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ^٧ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ^٨ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ^٩ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ^{١٠} ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

(حم ﴿١﴾ عَسَىٰ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) أوحى الله هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء و المرسلين، ففيه بيان فضله بإنزال الكتب و إرسال الرسل، سابقا و لاحقا (اللَّهُ الْعَزِيزُ) فِي انتِقَامِهِ (الْحَكِيمُ) فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ-تنزيل من اتصف بالألوهية و العزة العظيمة و الحكمة ﴿٣﴾ (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) و جميع العالم العلوي و السفلي ملكه و تحت تدبيره القدري و الشرعي (وَهُوَ الْعَلِيُّ) بذاته و قدره و قهره (الْعَظِيمُ) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرَّعْد: ٩] الذي من عظمته (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) يتشققن فرقا مِنْ الْعَظَمَةِ (مِنْ فَوْقِهِنَّ^٤) على عظمها و كونها جمادا (وَالْمَلَائِكَةُ) الكرام خاضعون لعظمته مستكينون لعزته مدعون بربوبيته (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) و يعظمونه عن كل نقص، و يصفونه بكل كمال (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ^٥) عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم و كبريائه (إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الذي لولا مغفرته و رحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة ﴿٥﴾ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يتولونهم بالعبادة و الطاعة، كما يعبدون الله و يطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، و ليسوا بأولياء على الحقيقة (اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ) يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها و شرها.

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتسأل عن أعمالهم و إنما أنت مبلغ أديت وظيفتك ﴿٦﴾

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) ثم ذكر منته على رسوله و على الناس حيث أنزل الله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بين الألفاظ و المعانى (لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى) مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) مَنْ سَائِرِ الْبِلَادِ شَرْقًا وَ غَرْبًا- سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرَى "لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ- مسند أحمد ١٨٧١٥- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَ هُوَ وَقَفَ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَ أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ (وَنُنْذِرَ) الناس (يَوْمَ الْجَمْعِ) الذي يجمع الله به الأولين و الآخرين و تخبرهم أنه (لَا رَيْبَ فِيهِ) شك فيه و أن الخلق ينقسمون فيه فريقين:-

١- (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ) و هم الذين آمنوا بالله و صدقوا المرسلين

٢- (وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) و هم أصناف الكفرة المكذبين ﴿٧﴾

***مسند أحمد ١٧٥٩٣ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ:- أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَ هُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقْرِهُ حَتَّى تَلْقَانِي؟ قَالَ: بَلَى، وَ لَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، وَ أُخْرَى بَالِيَدِ الْأُخْرَى وَ قَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ لَا أَبَالِي فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا

(و) مع هذا (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ) لجعل الناس (أُمَّةً وَاحِدَةً) على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء،

(وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) و لكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه

(وَالظَّالِمُونَ) و أما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة،

ف—(مَا لَهُمْ) من دون الله (مِنْ وَلِيٍّ) يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب (وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم المكروه.

(أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)

الذي يتولاه عبده بعبادته و طاعته، و التقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات و يتولى عباده عموما بتدبيره، و نفوذ القدر فيهمو يتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور،

و تربيتهم بلطفه، و إعانتهم في جميع أمورهم. (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

هو المتصرف بالإحياء و الإماتة، و نفوذ المشيئة و القدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ)

من أصول دينكم و فروعه مما لم تتفقوا عليه-مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ وَ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ

(فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) يرد إلى كتابه، و إلى سنة رسوله، فما حكما به فهو الحق، و ما خالف ذلك فباطل.

هُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِكِتَابِهِ، وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ كَقَوْلِهِ: {إِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي) فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم

و مفهوم الآية الكريمة:-

أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه
فما اتفقنا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ و لا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب
الله و سنة رسوله

(عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع و دفع المضار واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك

(وَالَيْهِ أُنِيبُ) أتوجه بقلبي و بدني إليه، و إلى طاعته و عبادته.

و هذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد،

و يفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) و قوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا
بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ
لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَ ۚ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما بقدرته و مشيئته و حكمته (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)

لتسكنوا إليها، و تنتشر منكم الذرية، و يحصل لكم من النفع ما يحصل (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا)

و من جميع أصنافها نوعين ذكرا و أنثى لتبقى و تنمو لمنافعكم الكثيرة-جعل ذلك لأجل النعمة عليكم،

(يَذُرُّكُمْ فِيهِ) ييشكم و يكثركم و يكثر مواشيكم

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ليس يشبهه تعالى و لا يماثله شيء من مخلوقاته،

لا في ذاته، و لا في أسمائه، و لا في صفاته، و لا في أفعاله لأن أسماءه كلها حسنى،

و صفاته صفة كمال و عظمة، و أفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك،

فليس كمثله شيء، لانفراده و توحده بالكمال من كل وجه.

(وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات

(الْبَصِيرُ) يرى ديب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، و يرى سريان القوات في أعضاء

الحيوانات الصغيرة جدا، و سريان الماء في الأغصان الدقيقة.

و هذه الآية و نحوها، دليل لــــ: -مذهب أهل السنة و الجماعة، مــــن:-

١- إثبات الصفات ٢- و نفي مماثلة المخلوقات ٣- و فيها رد على المشبهة في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

و على المعطلة في قوله: (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) ﴿١١﴾

(**لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) له ملك السماوات و الأرض و بيده مفاتيح الرحمة و الأرزاق و النعم

(**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ**) يوسعه و يعطيه من أصناف الرزق ما شاء (**وَيَقْدِرُ**)

يضيق على من يشاء حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها و كل هذا تابع لعلمه و حكمته

(**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته و تقتضيه مشيئته ﴿١٢﴾

(**أَن أَقِيمُوا**) أمركم أن تقيموا جميع شرائع (**الَّذِينَ**) أصوله و فروعهم تقيمونه بأنفسكم

و تجتهدون في إقامته على غيركم، و تعاونون على البر و التقوى و لا تعاونون على الإثم و العدوان

(**وَلَا تَنفَرِقُوا فِيهِ**) ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين و فروعهم و احرصوا على أن لا تفرقكم المسائل.

و تحزبكم أحزابا و تكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

و من أنواع الاجتماع على الدين و عدم التفرق فيه:-

ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد و الجمع والصلوات الخمس و الجهاد،

و غير ذلك من العبادات التي لا تتم و لا تكمل إلا بـ:- ١- الاجتماع لها ٢- و عدم التفرق

(**كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**) شق عليهم غاية المشقة (**مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**) حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده

كقوله: (**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**)

(**اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ**) يختار من خلقه من يعلم أنه يصلح للاجتماع لرسالته و ولايته

(**وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**) هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، و هو إنابته لربه

و انجذاب دواعي قلبه إليه و كونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية

من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى:- (**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**) ﴿١٣﴾

(**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**) لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم و نهاهم عن التفرق:-

أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب

الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، و ذلك كله (**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**) و عدوانا منهم، فإنهم تباغضوا

و تحاسدوا، و حصلت بينهم المشاحنة و العداوة، فوقع الاختلاف فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**) بتأخير العذاب القاسي (**إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى لَقُضَى بَيْنَهُمْ**) بتعجيل عذاب الكافرين

(**وَلِلَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ**) الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق

(لَفِي سَلَكٍ مِّنْهُ مَرِيبٌ)

اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا و عنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكاً و ارتياباً ﴿١٤﴾
(فَلِذَلِكَ) فللدين القويم و الصراط المستقيم الذي أنزل الله به كتبه و أرسل رسله (فَادْعُ) إليه أمتك و حضهم

عليه، و جاهد عليه، من لم يقبله، (وَأَسْتَقِمَّ) بنفسك (كَمَا أَمَرْتُ) استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط
و لا إفراط بل امتثالاً لأوامر الله و اجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك فأمره بتكميل نفسه بلزوم
الاستقامة، و بتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك. و من المعلوم أن أمر الرسول ﷺ لأمره إذا لم يرد تخصيص له.

(وَلَا تَنَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة و المنافقين

إما باتبعاعهم على بعض دينهم أو بترك الدعوة إلى الله أو بترك الاستقامة

(وَقُلْ) لهم عند جدالهم و مناظرتهم:- (ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (

في الحكم فيما اختلفتم فيه فلا تمنعني عداوتكم و بغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم
و من العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب و غيرهم أن يقبل ما معهم من الحق، و يرد
ما معهم من الباطل

(اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) هو رب الجميع، لستم بأحق به منا (لَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ) من خير و شر

كقوله:- {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} [يُونُس: ٤١]

(لَا حُجَّةَ) الخصومة- وَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ وَ هَذَا مُتَّجِهٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ

(بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أى: بعد ما تبينت الحقائق، و اتضح الحق من الباطل، و الهدى من الضلال

(اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يوم القيامة (وَالِيهِ الْمَصِيرُ) فيجزي كلا بعمله، و يتبين حينئذ الصادق من الكاذب ﴿١٥﴾

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾
 يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
 وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا
 نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾
 تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) بالحجج الباطلة و الشبه المتناقضة (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) من بعد ما استجاب لله
 أولو الألباب و العقول (مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ) باطلة مدفوعة (عِنْدَ رَبِّهِمْ) لأنها مشتملة على رد الحق و كل ما خالف
 الحق، فهو باطل (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) لعصيانهم و إعراضهم عن حجج الله و بيناته و تكذيبها.
 (وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.
 ***جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ، لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى وَ طَمِعُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ.
 (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) هو هذا القرآن العظيم نزل (بِالْحَقِّ) و اشتمل على الحق و الصدق و اليقين
 و كله آيات بينات، و أدلة واضحات، على:-

١- جميع المطالب الإلهية ٢- العقائد الدينية فجاء بأحسن المسائل و أوضح الدلائل.
 و أمّا (وَالْمِيزَانَ) الانصاف- فهو العدل و الاعتبار بالقياس الصحيح و العقل الرجيح،
 فكل الدلائل العقلية من:-

الآيات الآفاقية و النفسية، و الاعتبارات الشرعية و المناسبات و العلل و الأحكام و الحكم:-
 داخلية في الميزان الذي أنزله الله تعالى و وضعه بين عباده،

ل:- ١- يـزنوا به ما اشتبه من الأمور ٢- و يعرفوا به صدق ما أخبر به و أخبرت رسله،
 (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)

ليس بمعلوم بعدها و لا متى تقوم فهي في كل وقت متوقع وقوعها مخوف وجبتها

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا^ط)

عنادا و تكذيبا و تعجيزا لربهم (و كفرا و استبعادا) يقولون {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سَبَأ:٢٩]

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا^ط) خائفون لإيمانهم بها و علمهم بما تشتمل عليه من: -

١- الجزاء بالأعمال ٢- و خوفهم لمعرفةهم بربهم: - أن لا تكون أعمالهم منجية لهم و لا مسعدة

(وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ^ط) الذي لا مزية فيه، و لا شك يعتريه (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ^ط) يخاصمون

(فِي) قيام (السَّاعَةِ) بعد ما امتروا فيها، ماروا الرسل و أتباعهم بإثباتها (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) فهم في شقاق بعيد

أى: معاندة و مخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البعد عن الحق

فِي جَهْلٍ بَيْنَ لَأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَىٰ وَ الْآخَرَىٰ

كَمَا قَالَ: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّوم:٢٧]

(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ^ط) يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه و يحبوه و يتعرضوا للطفه و كرمه و اللطف من أوصافه

تعالى معناه: - الذي يدرك الضمائر و السرائر الذي يوصل عباده -

و خصوصا المؤمنين - إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون و لا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن:-

أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك من:-

١- فطرته على محبة الحق و الانقياد له ٢- و إيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن :- يشبوا عباده المؤمنين

و يحثوهم على الخير، و يلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

٣- و من لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم و تنبعث هممهم و يحصل منهم

التنافس على الخير و الرغبة فيه و اقتداء بعضهم ببعض

٤- و من لطفه أن قيض لعبده كل سبب يعوقه و يحول بينه و بين المعاصي حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا

و المال و الرياسة و نحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته أو تحمله على الغفلة عنه،

أو على معصية [صرفها عنه و قدر عليه رزقه]

(يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ^ط) بحسب اقتضاء حكمته و لطفه (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ^ط)

الذي له القوة كلها فلا حول و لا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ^ط) أجرها و ثوابها، فآمن بها و صدق، و سعى لها سعيها

(نَزِدْ لَهُ^ط فِي حَرْثِهِ^ط) بأن نضاعف عمله و جزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)

و مع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه. (وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) و من كان يريد بعمله الدنيا وحدها بأن كانت الدنيا هي مقصوده و غاية مطلوبة، فلم يقدم لآخرته و لا رجا ثوابها، و لم يخش عقابها (نُؤْتِيهِ مِنْهَا) نصيبه الذي قسم له (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ) قد حرم الجنة و استحق النار و جحيمها

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) من: - ١- الشـرك

٢- و البدع ٣- و تحريم ما أحل الله (الْبَحِيرَةُ وَالسَّابِغَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامُ وَتَحْلِيلُ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمُ وَالْقِمَارُ) ٤- و تحليل ما حرم الله و نحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

صحيح البخاري ٤٦٢٤- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَ رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُضْبَهُ، وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيِّبَ السَّوَابِ» (١) وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدَ مُلُوكِ خَزَاعَةَ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ- وَ حَمَلَ قَرِيشًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف

المختلفة، و أنه سيؤخرهم إليه (لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) (لَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ - في الوقت الحاضر بسعادة المحق و إهلاك المبطل لأن المقتضي للإهلاك موجود

(وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) و لكن أمامهم العذاب الأليم (المُوجِع) في الآخرة، هؤلاء و كل ظالم.

و في ذلك اليوم (تَرَى الظَّالِمِينَ) (أنفسهم بالكفر و المعاصي) في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ

(مُشْفِقِينَ) (خائفين وجلين) (مِمَّا كَسَبُوا) أن يعاقبوا عليه (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) (العقاب الذي خافوه

لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب من غير معارض من توبة و لا غيرها و وصلوا موضعا فات فيه الإمهال

(وَالَّذِينَ آمَنُوا) (بقلوبهم بالله و بكتبه و رسله و ما جاءوا به

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (يشمل كل عمل صالح من: -

١- أعمال القلوب ٢- و أعمال الجوارح من [الواجبات و المستحبات]

(فِي رَوْضَاتٍ) (بساتين- و الروضة في الجنة أنزه مكان فيها. (الْجَنَّاتِ) و قصورها و نعيم الآخرة

(هُمْ مَا يَشَاءُونَ) (في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، و مهما طلبوا حصل

(عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)

الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ
وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ ذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ؕ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ؕ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق
بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان والعمل الصالح فهي أجل الغايات، و الوسيلة
الموصلة إليها أفضل الوسائل (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغي إياكم هذا القرآن و دعوتكم إلى أحكامه.

(أَجْرًا) فلست أريد أخذ أموالكم و لا التولي عليكم و التراس و لا غير ذلك من الأغراض

(إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) ١- يحتمل أن المراد:- لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم، و عائد نفعه إليكم،
و هو أن تودوني و تحبوني في القربة أي: لأجل القربة. و يكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان
فإن مودة الإيمان بالرسول و تقديم محبته على جميع المحاب بعد محبة الله، فرض على كل مسلم و هؤلاء
طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القربة، لأنه ﷺ قد باشر بدعوته أقرب الناس إليه حتى إنه قيل:-
إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا و لرسول الله ﷺ فيه قرابة.

٢- و يحتمل أن المراد:- إلا مودة الله تعالى الصادقة، و هـى:- التي يصحبها التقرب إلى الله،

و التوسل بطاعته الدالة على صحتها و صدقها، و لهذا قال: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: في التقرب إلى الله،
*الصحيح المسند من أسباب النزول:- مسند أحمد ٢٠٢٤ عن طائوس قال:- سأل رجل ابن عباس - النعمنى - عن قوله عز وجل:
{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} [الشورى: ٢٣]- فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: قَرَابَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
عَجَلَتْ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ قَرَابَةٌ
فَنَزَلَتْ: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} [الشورى: ٢٣]:- إِلَّا أَنْ تَصِلُوا قَرَابَةً مَا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ " (١)

(وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً) من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق (تَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا) بأن:-

- ١- يشـرح الله صدره ٢- و ييسـر أمره ٣- و تـكون سببا للتوفيق لعمل آخر ٤- و يـزداد بها عمل المؤمن ٥- و يـرتفع عند الله و عند خلقه ٦- و يحصل له الثواب العاجل و الآجل و قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:- إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا وَ مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ (السَّيِّئَةُ) بَعْدَهَا.
- (إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ) يغفر الذنوب العظيمة و لو بلغت ما بلغت عند التوبة منها

(شَكُورٌ) و يشكر على العمل القليل بالأجر الكثير ﴿٤٣﴾

فبمغفرته:- يغفر الذنوب و يستر العيوب و بشكره:- يتقبل الحسنات و يضاعفها أضعافا كثيرة.

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فرموك بأشنع الأمور و أقبحها و هو الافتراء على الله ب:-

- ١- ادعاء النبوة ٢- و النسبة إلى الله ما هو بريء منه و هم يعلمون صدقك و أمانتك، فكيف يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟ بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث ممكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة - على موجب زعمهم - أكبر الفساد في الأرض
- حيث :- ١- مكنه الله من التصريح بالدعوة ٢- ثم بنسبتهـا إليه

٣- ثم يؤيده ب:- المعجزات الظاهرات و الأدلة القاهرات و النصر المبين و الاستيلاء على من خالفه

(إِن يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ) وَ سَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَا كَانَ آتَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ] فلا يعي شيئا و لا يدخل إليه خير

(وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) و سنته الجارية أنه يمحو الباطل و يزيله و إن كان له صولة في بعض الأوقات فعاقبته

الاضمحلال (وَيُخَيِّمُ الْحَقُّ) يُحَقِّقُهُ وَ يُثَبِّتُهُ وَ يُبَيِّنُهُ وَ يُوَضِّحُهُ (بِكَلِمَتَيْهِ) بِحُجَّتِهِ وَ بَرَاهِينِهِ-الكونية،

(إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها و ما اتصفت به من خير و شر و ما أكنته و لم تبده.

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) هذا بيان لكمال كرم الله تعالى و سعة جوده و تمام لطفه،

يقبول التوبة الصادرة من عباده حين:-

- ١- يقلعون عن ذنوبهم ٢- و يندمون عليها ٣- و يعزمون على أن لا يعاودوها،

[إذا قصدوا بذلك وجه ربهم] فإن الله يقبلها بعدما:-

- ١- انقضت سببا للهلاك ٢- و وقوع العقوبات الدنيوية و الدينية.

(وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) و يمحوها، و يمحو أثرها من العيوب، و ما اقتضته من العقوبات، و يعود التائب عنده

كریما، كأنه ما عمل سوءا قط، و يحبه و يوفقه لما يقر به إليه- يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَ يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ

فِي الْمَاضِي-كَقَوْلِهِ:- {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١١٠]

(وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ) (فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه و التوبة من التقصير ﴿٤٦﴾)

فانقسموا-بحسب الاستجابة له-إلى قسمين:-

١-مستجيبين وصفهم بقوله (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ):-

أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه و ينقادون له و يلون دعوته لأن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح يحملهم على ذلك فإذا استجابوا له شكر الله لهم و هو الغفور الشكور

(وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (و زادهم من فضله توفيقا و نشاطا على العملو زادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب و الفوز العظيم.

٢- (وَالْكَافِرُونَ) غير المستجيبين لله و هم المعاندون الذين كفروا به و برسله

ف(لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (في الدنيا و الآخرة ﴿٤٦﴾)

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ مَا يَشَاءُ) (

لغفلوا عن طاعة الله و أقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهي نفوسهم و لو كان معصية و ظلما.

(وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ) (بحسب ما اقتضاه لطفه و حكمته-و لَكِنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَيَغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى، وَ يُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ

(لَئِنَّهُمْ لِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ) (

-الصحيح المسند من أسباب النزول:-ابن جرير عن عمرو بن حريث و غيره يقولون:-

إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا

يَشَاءُ}ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا ﴿٤٧﴾

(وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ) (المطر الغزير الذي به يغيث البلاد و العباد(من بَعْدِ مَا قَنَطُوا) (

و انقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم،و أيسوا و عملوا لذلك الجذب أعمالا فينزل الله الغيث

(وَيَنْشُرُ) (به(رَحْمَتُهُ) (من إخراج الأقوات للآدميين و بهائمهم فيقع عندهم موقعا عظيما، و يستبشرون بذلك

(وَهُوَ الْوَلِيُّ) (الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، و يتولى القيام بمصالح دينهم و دنياهم

(الْحَمِيدُ) (في ولايته و تدبيره، الحميد على ما له من الكمال،و ما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال ﴿٤٨﴾

(وَمِنْ ءَايَاتِهِ) (و من أدلة قدرته العظيمة، و أنه سيحيي الموتى بعد موتهم(خَلَقُ) (هذه(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (

على عظمهما و سعتهما، الدال على قدرته و سعة سلطانه، و ما فيهما من الإتقان و الإحكام دال على حكمته و ما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، و ذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها،

و أن إلهية ما سواه باطلة. (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا) نشر في السماوات و الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) من أصناف الدواب التي جعلها الله مصالح و منافع لعباده-يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ وَ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَ أَلْوَانِهِمْ وَ لُغَاتِهِمْ، وَ طِبَاعِهِمْ وَ أَجْنَاسِهِمْ وَ أَنْوَاعِهِمْ، وَ قَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَ السَّمَوَاتِ (وَهُوَ) مع هذا كله (عَلَى جَمْعِهِمْ) جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)

فقدرته و مشيئته صالحان لذلك، و يتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق،

و قد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين و كتبهم بوقوعه ﴿٤١﴾

(وَمَا أَصَابَكُمْ) يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد (مِنْ مُصِيبَةٍ) في أبدانهم و أموالهم و أولادهم و فيما

يحبون و يكون عزيزا عليهم (فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات،

(وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) و أن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، و لكن أنفسهم يظلمون

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) [فاطر: ٤٥]

و ليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات و لا عجزا.

٥٦٤١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ

وَ لَا وَصَبٍ، وَ لَا حُزْنٍ وَ لَا أَذَى وَ لَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» ﴿٣٠﴾

(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ)

معجزين قدرة الله عليكم بل أنتم عاجزون في الأرض ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يتولاكم، فيحصل لكم المنافع (وَلَا نَصِيرٌ) يدفع عنكم المضار ﴿٣١﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

(وَمِنْ آيَاتِهِ) و من أدلة رحمته (الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ) من السفن، و المراكب النارية و الشراعية من عظمها

(كَالْأَعْلَامِ) الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، و حفظها من التطام الأمواج ﴿٣٢﴾

(إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) التي جعلها الله سببا لمشيها (فَيَظْلَلْنَ) الجوار (رَوَاكِدَ) سواكن (عَلَى ظَهْرِهِ) على ظهر البحر

لا تتقدم و لا تتأخر، و لا ينتقض هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح

و إن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها-أغرقها في البحر و أتلّفها و لكنه يحلم و يعفو عن كثير.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) كثير الصبر على ما تكرهه نفسه و يشق عليها (في الشدائد)

فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط

(شَكُورٍ) في الرخاء و عند النعم، يعترف بنعمة ربه و يخضع له، و يصرفها في مرضاته ﴿٣٣﴾

(أَوْ يُوقِفَهُنَّ) و لو شاء لأهلك السفن و غرقها (بِمَا كَسَبُوا) بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها

(وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) من ذنوبهم و لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر ﴿٣٤﴾

(وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) ليطلوها (مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ) ملجأ- لا ينقذهم منقذ مما حل بهم من العقوبة ﴿٣٥﴾

(فَمَا أُوتِيتُمْ) حصلتكم (مِنْ شَيْءٍ) من ملك و رياسة و أموال و بين و صحة (فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) لذة منغصة منقطعة

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب الجزيل و النعيم المقيم (خَيْرٌ) من لذات الدنيا خيرية لا نسبة بينهما

(وَأَبْقَى) لأنه نعيم لا منغص فيه و لا كدر و لا انتقال ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال:-

(لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) جمعوا بين الإيمان الصحيح المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة و الباطنة،

و بين التـوكل الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام و هـو:-

الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، و دفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى ﴿٣٦﴾

(وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ إِلَٰثٍ وَالْفَوَاحِشَ) و الفرق بين الكبائر و الفواحش - مع أن جميعهما كبائر -

(كَثِيرَ إِلَٰثٍ) ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران (وَالْفَوَاحِشَ) هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها:-

كالزنا و نحوه، و أما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه-

ما فَحْش و قَبِيح من أنواع المعاصي- مِنْ جُمْلَةِ الْكِبَائِرِ. الْأَظْهَرُ أَنَّهَا مِنْ أَشْنَعِهَا لِأَنَّ الْفَاحِشَةَ فِي اللُّغَةِ هِيَ الْخَصْلَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْقُبْحِ وَ كُلُّ مُتَشَدِّدٍ فِي شَيْءٍ مُبَالِغٌ فِيهِ فَهُوَ فَاحِشٌ فِيهِ.

(وَلِذَا مَا عَصِيبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)

سَجَّيْتَهُمْ وَ خَلَقَهُمْ وَ طَبَعَهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحِ وَ الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ لَيْسَ سَجَّيْتَهُمْ الْإِنْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ

صحيح البخاري ٦١٢٦ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ:- «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ»

كقوله (اذْنَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ)

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:- عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ:- كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا وَ كَانُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَا ﴿٣٧﴾

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) انقادوا لطاعته و لبَّوا دعوته و صار قصدهم رضوانه و غايتهم الفوز بقربه

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ظاهرها و باطنها، فرضها و نفلها. و من الاستجابة لله، إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة

فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه و فضله

(وَأَمْرُهُمْ) الديني و الدنيوي (شُورَى بَيْنَهُمْ) لَا يُبْرَمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ، لِيَتَسَاعَدُوا بِآرَائِهِمْ

- لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم و هذا لا يكون إلا فرعا عــــن:-

اجتماعهم و توالفهم و تواددهم و تحاببهم و كمال عقولهم

أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر و الرأي فيها:-

اجتمعوا لها و تشاوروا و بحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها و بادروها،

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) من النفقات الواجبة كالزكاة و النفقة على الأقارب و نحوهم و المستحبة، كالصدقات ﴿٣٨﴾

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) وصل إليهم من أعدائهم

(هُمْ يَنْصَرُونَ) لقوتهم و عزتهم و لم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار

فوصفهم بالإيمان، و على الله، و اجتناب الكبائر و الفواحش الذي تكفر به الصغائر، و الانقياد التام، و الاستجابة لربهم، إقامة الصلاة، و الإنفاق في وجوه الإحسان، و المشاورة في أمورهم و القوة و الانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، و يلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، و انتفاء ضدها.

(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) كَقَوْلِهِ {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَ هُوَ الْقَصَاصُ وَ نَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَ هُوَ الْعَفْوُ كَقَوْلِهِ {وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} ○ ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات و أنها على ثلاث مراتب:-

١- عدل ٢- فضل ٣- و ظلم

فمرتبة العدل:- جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة و لا نقص فالنفس بالنفس، و كل جارحة بالجارحة المماثلة لها، و المال يضمن بمثله.

و مرتبة الفضل:- العفو و الإصلاح عن المسيء

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) يجزيه أجرا عظيما، و ثوابا كثيرا، و شرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه و كانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به

و في جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو و أن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به فكما يحب أن يعفو الله عنه فَلْيَعْفُ عَنْهُمْ و كما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم فإن الجزاء من جنس العمل.

صحيح مسلم (٢٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:- «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ وَ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» و أما مرتبة الظلم:- فقد ذكرها بقوله:

(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الذين يجنون على غيرهم ابتداء أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم ⑤

(وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه

(فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) لا حرج عليهم في ذلك ⑥

(إِنَّمَا السَّبِيلُ) إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية (عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (

و هذا شامل للظلم و البغي على الناس، في دمائهم و أموالهم و أعراضهم-يَبْغُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ.

مسلم (٢٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) موجه للقلوب و الأبدان بحسب ظلمهم و بغيهم ﴿٤٢﴾

(وَلَمَن صَبَرَ) على ما يناله من أذى الخلق (وَعَفَرَ) لهم بأن سمح لهم عما يصدر منهم،

(إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لمن الأمور التي حث الله عليها و أكدها و أخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر

و الحظوظ العظيمة، و من الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم و الهمم و ذوو الألباب و البصائر ﴿٤٣﴾

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل من أشق شيء عليها، و الصبر على الأذى و الصفح عنه و مغفرته

و مقابله بالإحسان أشق و أشقو لكنه يسير على من يسره الله عليه، و جاهد نفسه على الاتصاف به

و استعان الله على ذلك ثم إذا ذاق العبد حلاوته و وجد آثاره تلقاه برحب الصدر، و سعة الخلق و التلذذ فيه.

(وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ) بسبب ظلمه (فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ) يتولى أمره و يهديه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ)

مرأى و منظرا فظيعا صعبا شنيعا يظهر الندم العظيم و الحزن على ما سلف منهم

(يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ)

هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل و هذا طلب للأمر المحال الذي لا

يمكن ﴿٤٤﴾

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾
 وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكَيرٍ ﴿٤٧﴾
 فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا
 وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا
 أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

(وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار (خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ) ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم
 (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) ينظرون إلى النار مسارقة و شزرا، من هيبتها و خوفها (وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

حيث ظهرت عواقب الخلق، و تبين أهل الصدق من غيرهم: (إِنَّ الْخَاسِرِينَ) على الحقيقة

(الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، و حصلوا على أليم العقاب
 و فرق بينهم و بين أهلهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم.

(أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ) أنفسهم بالكفر و المعاصي (فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ)

دائم سرمدي أبدى-في سوائه و وسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبدا و لا يفتر عنهم و هم فيه مبلسون ﴿٤٥﴾

(وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ) ينقذونهم

(مِنْ دُونِ اللَّهِ) كما كانوا في الدنيا يمتنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم و لغيرهم أن أسبابهم التي أملوها
 تقطعتو أنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم.

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) تحصل به هدايته فهؤلاء ضلوا حيث زعموا في شركائهم النفع و دفع الضر

فتبين حينئذ ضلالهم لأنه قد سدت عليه طرق النجاة فالهداية و الإضلال بيده سبحانه دون سواه ﴿٤٦﴾

(أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يأمر تعالى عباده بـ:—

١- الاستجابة له بامثال ما أمر به ٢- واجتناب ما نهى عنه ٣- والمبادرة بذلك وعدم التسويف

(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) القيامة الذي إذا جاء (لَا مَرَدَّ لِمَنْ أَلَّهِ) لا يمكن رده و استدراك الفائت

(مَا لَكُمْ) و ليس للعبد (مَنْ مَلَجًا) يلجأ إليه، فيفوت ربه، و يهرب منه (يَوْمَئِذٍ) في ذلك اليوم

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم و نودوا

(وَمَا لَكُمْ) و ليس للعبد في ذلك اليوم

(مَنْ نَكِيرٍ) تتكرون فيه-لما أجرمه بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه

و هذه الآية و نحوها فيها ذم الأمل و الأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد فإن للتأخير آفات ﴿٤٧﴾

(فَإِنْ أَعْرَضُوا) عما جئتهم به بعد البيان التام

(فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) تحفظ أعمالهم و تسأل عنها-لست عليهم بمُصِيطِرٍ

(إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) إِمَّا كَلَّفْنَاكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ رسالة الله إليهم-فإذا أديت ما عليك فقد وجب أجرك على الله،

سواء استجابوا أم أعرضوا، و حسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم و كبيرها،

و ظاهرها و باطنها (وَرِئَاءَ إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا) ثم ذكر تعالى حالة الإنسان و أنه إذا أذاقه الله

(رَحْمَةً) من صحة بدن و رزق رغد و جاه و نحوه (فَرِحَ بِهَا) فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها

و يلزم من ذلك طمأنينته بها و إعراضه عن المنعم (وَلِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ) مرض أو فقر، أو نحوهما

(بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) طبيعته كفران النعمة السابقة، و التسخط لما أصابه من السيئة.

***كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ:-صحيح البخاري ٣٠٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ: وَ بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَكْثُرُنَ اللَّعْنَ وَ تَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَ دِينَ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ- وَ مَا نَقْصَانُ دِينِنَا وَ عَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:-«أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ:-بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَ لَمْ تُصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا»

هذه الآية فيها الإخبار عـ:—

١-سعة ملكه تعالى ٢-و نفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء ٣-و التدبير لجميع الأمور

حتى إن تدبيره تعالى، من عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد فإن النكاح من الأسباب

لولادة الأولاد فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء ﴿٤٨﴾

(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً) مثل لوط عليه السلام

(وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) مثل الخليل ابراهيم عليهما السلام (٤١)

(أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً) و منهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا و إناثا (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا)

و منهم من يجعله عقيما لا يولد له. كَيْحَيِّ وَ عَيْسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بكل شيء

(فَقِيرٌ) على كل شيء، فيتصرف بعلمه و إتقانه الأشياء، و بقدرته في مخلوقاته (٥٠)

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله:-

(لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) من كبرهم و تجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة:-

و أن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء و المرسلين و صفوته من العالمين و أنه يكون على أحد هذه الأوجه

إما (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك و لا مخاطبة منه شفاها

(أَوْ) يكلمه منه شفاها لكن (مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ) كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن

(أَوْ) يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي — (يُرْسِلَ رَسُولًا) كجبريل أو غيره من الملائكة.

(فَيُوحِي بِآذَانِهِ) بإذن ربه، لا بمجرد هواه (مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ) تعالى (عَلِيُّ) الذات

(عَلِيُّ) الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال، قد قهر كل شيء، و دانت له المخلوقات

(حَكِيمٌ) في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات و الشرائع (٥١)

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ^{٥١} مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ
 مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ^{٥٢} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ ^{٥٣} أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ^{٥٤}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٤٣-سورة الزخرف

حَمْدٌ ^١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ^٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^٣
 وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ^٤ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا
 مُّسْرِفِينَ ^٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ^٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ^٧
 فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ^٨ وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ^٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
 وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ^{١٠}

(وَكَذَلِكَ) حين أوحينا إلى الرسل قبلك (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) و هو هذا القرآن الكريم،

سماه روحاً لأن:-

الروح يحيا به الجسد، و القرآن تحيا به القلوب و الأرواح، و تحيا به مصالح الدنيا و الدين
 لما فيه من الخير الكثير و العلم الغزير. و هو محض منة الله على رسوله و عباده المؤمنين من غير سبب منهم،
 و لهذا قال: (مَا كُنْتَ تَدْرِي) قبل نزوله عليك (مَا الْكِتَابُ) ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة،

(وَلَا الْإِيمَانُ) و عمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط و لا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب

(وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) (فَصَلَتْ: ٤٤)

يستضيئون به في ظلمات الكفر و البدع و الأهواء المردية و يعرفون به الحقائق و يهتدون به إلى الصراط
 المستقيم.

كقوله: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [فَصَلَتْ: ٤٤]

(وَإِنَّكَ) يا محمد (لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

الخلق القويم-تبينه لهم و توضحه و تنيره و ترغبهم فيه و تنهاهم عن ضده و ترهبهم منه ^{٥٤}

ثم فسر الصراط المستقيم (**صِرَاطُ اللَّهِ**) الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه و إلى دار كرامته (**الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**) رَبُّهُمَا وَمَالِكُهُمَا وَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ (**إِنَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**) ترجع جميع أمور الخير و الشر- فيجازي كلا بحسب عمله ﴿٥٣﴾

٤٣- تفسير سورة الزخرف-مكية

(**حَمِّ** ﴿١﴾ **وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**) هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين و أطلق و لم يذكر المتعلق، ليدل على: -أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين و الآخرة. (**إِنَّا جَعَلْنَاهُ**) صيرناه لأن (جعل): متعدد لمفعولين- أنزلناه (**قُرْءَانًا عَرَبِيًّا**) هذا المقسم عليه أنه جعل بأفصح اللغات و أوضحها و أبينها (**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) تتدبرون و تفهمون ألفاظه و معانيه لتيسرها و قربها من الأذهان (**وَلِئَلَّاهُ**) هذا الكتاب (**فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا**) في المأ الأعلى في أعلى الرتب و أفضلها (**لَعَلِّي**) (علي في قدره و شرفه و محله) (**حَكِيمٌ**) فيما يشتمل عليه من الأوامر و النواهي و الأخبار فليس فيه حكم مخالف للحكمة و العدل و الميزان. -ثم أخبر تعالى أن حكمته و فضله يقتضي أن لا يترك عباده هملا لا يرسل إليهم رسولا و لا ينزل عليهم كتابا و لو كانوا مسرفين ظالمين فقال: - (**أَفَنَضْرِبُ**) أفعرض (**عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا**) إمساكًا- و نترك إنزال الذكر إليكم (**أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ**) بسبب إسرافكم في عدم الإيمان به ﴿٥﴾ -يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملا (**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ**) يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له و لم يزل التكذيب موجودا في الأمم. (**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) جحدا لما جاء به، و تكبرا على الحق ﴿٧﴾ (**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ**) من هؤلاء (**بَطْشًا**) قوة و أفعالا و آثارا في الأرض (**وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ**) مضت أمثالهم و أخبارهم، و بينا لكم منها ما فيه عبرة و مزدجر عن التكذيب و الإنكار ﴿٨﴾ يخبر تعالى عن المشركين (**وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ**) الله وحده لا شريك له، (**الْعَزِيزُ**) الذي دانت لعزته جميع المخلوقات (**الْعَلِيمُ**) بظواهر الأمور و بواطنها و أوائلها و أواخرها ﴿٩﴾ ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته و اقتداره: - (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا**)

بما خلقه لعباده من الأرض التي مهدها و جعلها قرارا (فراشا) للعباد يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

(وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا)

جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار في السير في الطرق

(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أيضا في الاعتبار بذلك و الادكار فيه ﴿٤٠﴾

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ۚ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ
 إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ
 ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۖ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِنَّمَ يَخْلُقُ بَنَاتٍ
 وَأَصْفَنَكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يُنثَوِا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ الْمَلَكُوتَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا
 أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنَّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ
 مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَيْنَافُ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع و لا يزيد بحيث يضر العباد و البلاد
 بل أغاث به العباد و أنقذ به البلاد من الشدة،

(فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) أحييناها بعد موتها (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) فكما أحيأ الأرض الميتة الهامدة بالماء ﴿١١﴾

كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا)
 الأصناف جميعها مما تنبت الأرض و من أنفسهم من ليل و نهار، و حر و برد، و ذكر و أنثى، و غير ذلك.

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ) السفن البحرية، الشراعية و النارية (و) من (وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) ﴿١٢﴾

(لِّسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ) و هذا شامل لظهور الفلك و لظهور الأنعام-لستقروا عليها

(ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها و الشاء عليه تعالى بذلك

و لهذا قال:- (وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) لولا تسخيرها لنا ما سخر من الفلك، و الأنعام

(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)

ما كنا مطيقين لذلك و قادرين عليه، و لكن من لطفه و كرمه تعالى، سخرها و ذللها و يسر أسبابها.

صحيح مسلم (١٣٤٢) عن ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:- كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:
 سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَ التَّقْوَى،

وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَ الْخَلِيقَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَ كآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ» وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَ زَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»(١)

(وَأَنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) و لتقولوا أيضاً:- و إنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.
*** وَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِسَيْرِ الدُّنْيَا عَلَى سَيْرِ الْآخِرَةِ كَمَا نَبَّهَ بِالزَّادِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الزَّادِ الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧] وَ بِاللَّاسِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الْآخِرَوِيِّ كَقَوْلِهِ {وَرِيثًا وَلِبَاسًا} التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ { [الأعراف: ٢٦] ٢٤

(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه

(مُبِينٌ) مظهر لجحوده و كفره يعدد المصائب، و ينسى النعم ﴿١٥﴾

(أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ)

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، و هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة و لا ولدا، و لم يكن له كفوا أحد ﴿١٨﴾

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا)

من كراهته و شدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

(وَهُوَ كَظِيمٌ) و هو حزين مملوء من الهم و الكرب ﴿١٧﴾

—الأنثى ناقصة في وصفها و في منطقتها و بيانها

(أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيَِّةِ) يُجمل فيها لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟

(وَهُوَ فِي الْخِصَامِ) عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام (غَيْرُ مُبِينٍ)

أي: غير مبين لحجته، و لا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟ ﴿١٨﴾

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً) فتجروا على الملائكة، العباد المقربين

و رقوهم عن مرتبة العبادة و الذل إلى مرتبة المشاركة لله في شيء من خواصه ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة

(أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته

(سَتَكُنَّ شُهَدَاءُهُمْ) ستكتب عليهم (وَيَسْتَلُونَ) عن هذه الشهادة و يعاقبون عليها ﴿١٩﴾

(وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، و هي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، و هي حجة باطلة في نفسها، عقلا و شرعا. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، و لو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

(مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يقولونه تخرُّصًا و كذبًا لأنه لا خبر عندهم من الله و لا برهان ﴿٤٠﴾

(أَمْ أَمِنْتُمْ مِمَّنْ قَبْلِهِ) من قبل هذا القرآن

(فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) يعملون بما فيه -يخبرهم بصحة أفعالهم، و صدق أقوالهم؟ ﴿٤١﴾

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) على دين و ملة و طريقة و مذهب

(وَأَنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ) فلا نتبع ما جاء به محمد ﷺ ﴿٤٢﴾

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتُ رِبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٤﴾

(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) منعموها و ملأها الذين أطغتهم الدنيا و غرتهم

الأموال و استكبروا على الحق (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) ملة و دين

(وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ) وراءهم-منهاجهم و طريقتهم

(مُّقْتَدُونَ) متبعون-لَيْسَ لَهُمْ مُّسْتَنَدٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ سِوَى تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ ﴿٢٣﴾

(قُلْ) يا محمد (أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) فهل تتبعوني لأجل الهدى؟

(قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)

فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق و الهدى و إنما قصدهم اتباع الباطل و الهوى.

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) بتكذيبهم الحق، و ردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة

(فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم ﴿٢٥﴾

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم و يتقربون إليهم:-

(إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) مبغض له مجتنب معاد لأهله (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) خلقتني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)

فإني أتولاه و أرجو أن يهديني للعلم بالحق و العمل به فكما فطرني و دبرني بما يصلح بدني و دنيائي ﴿٢٧﴾

(وَجَعَلَهَا) هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال و أساسها،

و هي إخلاص العبادة لله وحده، و التبرّي من عبادة ما سواه

(كَلِمَةً) وَ هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ خَلَعَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ هِيَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

(بَاقِيَةً) (دَائِمَةً) (فِي عَقِيدِهِ) ذريته [مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ

(لَعَلَّهُمْ) إِلَيْهَا (يَرْجِعُونَ) إلى طاعة ربهم وتوحيده و يتوبون من كفرهم و ذنوبهم ﴿٢٨﴾

(بَلْ مَنَعَتْ هَتُولاَءَ وَءَابَآءَهُمْ) بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم و نهاية مقصودهم

فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، و عقائد متأصلة

(حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن الذي لا شك فيه و لا مرية و لا اشتباه (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) بين الرسالة، قامت أدلة رسالته

قياما باهرا، بأخلاقه و معجزاته، و بما جاء به، و بما صدق به المرسلين، و بنفس دعوته ﷺ ﴿٢٩﴾

(وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) الذي يوجب على من له أدنى دين و معقول أن يقبله و ينقاد له

(قَالُوا هَذَا سِحْرٌ) يسحرنا به (وَلِنَا بِهِ كُفْرُونَ) مكذبون ﴿٣٠﴾

(وَقَالُوا) مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: -

(لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ)

مُعَظَم عندهم مُبْجَل من أهل مكة أو أهل الطائف كالوليد بن المغيرة وَ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ﴿٣١﴾

قال الله ردا لاقتراحهم: (أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ)

أهم الخزان لرحمة الله، و بيدهم تدبيرها فيعطون النبوة و الرسالة من يشاءون، و يمنعونها ممن يشاءون؟

(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من الأرزاق و الأقوات (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)

في الحياة الدنيا- هذا غني و هذا فقير و هذا قوي و هذا ضعيف

(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) لِيُسَخَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، في الأعمال و لحرف و الصنائع.

فلو تساوى الناس في الغنى، و لم يحتج بعضهم إلى بعض لتعطلت كثير من مصالحهم و منافعهم.

(وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني ﴿٣٢﴾

(وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) جماعة واحدة على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ)

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا و أنه لولا لطفه و رحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا لوسّع الدنيا

على الذين كفروا توسيعا عظيما

و لجعل (لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ) درجا من فضة -سلام (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يصعدون على سطوحهم ﴿٣٣﴾

وَلِبِئُوتِهِمْ آبُوبًا وَسُرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾
وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾
أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُشْكَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

(وَلِبِئُوتِهِمْ آبُوبًا وَسُرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ) من فضة، و لجعل لهم ﴿٣٤﴾

(وَزُخْرُفًا) ذهباً-لزخرف بأنواع الزخارف

و لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا عليهم من التسارع في الكفر و كثرة المعاصي بسبب حب الدنيا
ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم،

(وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الْحَقِيرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى-يُجْعَلُ لَهُمْ
بِحَسَنَاتِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مَا كُلُّ وَ مَشَارِبَ لِيُؤَافُوا الْآخِرَةَ وَ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنَةٌ يَجْزِيهِمْ بِهَا
-مسلم (٢٨٠٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَ يُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى
الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»

-البخاري: قال النبي ﷺ: -أَوْفَى شَكُّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَبَائِثُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
***صحيح البخاري :-٤٩١٣- أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَ لَنَا الْآخِرَةُ

-البخاري ٤٢٦ - قال النبي ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَ لَا الدِّيْبَاجَ، وَ لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ،
وَ لَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَنَا فِي الْآخِرَةِ»-و إِنَّمَا خَوْلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِحَقَارَتِهَا
الترمذي ٢٣٢٠ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ

(وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ) و أن الآخرة عند الله تعالى خير (لِلْمُتَّقِينَ) لربهم بامثال أوامره و اجتناب نواهيه

لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، و في الجنة ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين، و هم فيها خالدون ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: (وَمَنْ يَعِشْ) أي: يعرض و يصد و الْعِشَا فِي الْعَيْنِ:-

صَعَفُ بَصَرِهَا وَ الْمَرَادُ هَاهُنَا: عِشَا الْبَصِيرَةِ (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) الذي هو القرآن العظيم الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده- فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، و فاز بأعظم المطالب و الرغائب

(نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) و من أعرض عنها و ردها، فقد خاب و خسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا

و قِيضَ له الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه و يصاحبه، و يعده و يمينه، و يؤزه إلى المعاصي أزا ﴿٣٦﴾

(وَلَا تَنْتَهِمُ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) الصراط المستقيم، و الدين القويم (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)

بسبب تزيين الشيطان للباطل و تحسينه له، و إغراضهم عن الحق، فاجتمع هذا و هذا ﴿٣٧﴾

(حَقَّقْ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)

ما بين المشرق و المغرب و إِنَّمَا اسْتَعْمَلَ هَاهُنَا تَغْلِيْبًا كَمَا يُقَالُ:- الْقَمَرَانِ، وَ الْعُمَرَانِ، وَ الْأَبْوَانِ، وَ الْعُسْرَانِ

(فَيَنْسُ الْقَرِينُ) كقوله (وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا

خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) ﴿٣٨﴾

(وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) لا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب

أنتم و قرناؤكم و أخلاؤكم و ذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه و عذابه.

○ و لن ينفعكم أيضا روح التسلي في المصيبة

فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، و اشترك فيها المعاقبون:- هان عليهم بعض الهون و تسلى بعضهم ببعض

و أما مصيبة الآخرة:- فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة حتى و لا هذه الراحة ﴿٣٩﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ مسليا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له و أنهم لا خير فيهم، و لا فيهم زكاء

يدعوهم إلى الهدى: (أَفَأَنْتَ تُشْعِخُ الضُّمَرَ) الذين لا يسمعون (أَوْ تَهْدِي الْعُمَى) الذين لا يبصرون، أو تهدي

(وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

بَيِّنٌ واضح، لعلمه بضلاله و رضاه به فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات و الأعمى لا يبصر و الضال ضلالا

مبيناً لا يهتدي ﴿٤٠﴾

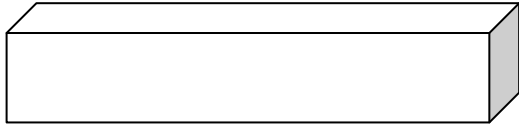
فهؤلاء قد فسدت فطرتهم و عقولهم، بإغراضهم عن الذكر و استحدثوا عقائد فاسدة، و صفات خبيثة:-

١- تمنعهم و تحول بينهم و بين الهدى ٢- و توجب لهم الازدياد من الردى

فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم و نكالهم:- إما في الدنيا أو في الآخرة

و لهذا قال تعالى (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ) فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك-

فاعلم بخبرنا الصادق (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) ﴿٤١﴾



(أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ) من العذاب-كيوم «بدر»

(فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ)

و لكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره فهذه حالك و حال هؤلاء المكذبين ﴿٤٢﴾

و أما أنت (فَأَسْتَمِيعٌ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ) فعلا و اتصافا، بما يأمر بالاتصاف به

(إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) موصل إلى الله و إلى دار كرامته و هذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به و الاهتداء

إذا علمت أنه حق و عدل و صدق، تكون بانيا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك و الأوهام،

و الظلم و الجور ﴿٤٣﴾

(وَلِأَنَّهُ) هذا القرآن الكريم (لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) فخر لكم و منقبة جليلة و نعمة لا يقادر قدرها و لا يعرف وصفها

و يذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي و الأخروي، و يحثكم عليه، و يذكركم الشر و يرهيبكم عنه،

(وَسَوْفَ تَسْتَخْلُونَ)

عنه هل قمتم به فارتفعتم و انتفعتم أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم و كفرا منكم بهذه النعمة؟ ﴿٤٤﴾

(وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ)

حتى يكون للمشركين نوع حجة، يتبعون فيها أحدا من الرسل فإنك لو سألتهم و استخبرتهم عن أحوالهم لم تجد

أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله وحده

لا شريك له ﴿٤٥﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا)

التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، و الحية، و إرسال الجراد، و القمل، إلى آخر الآيات.

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فدعاهم إلى الإقرار بربهم و نهاهم عن عبادة ما سواه ﴿٤٦﴾

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ)

ردوها و أنكروها، و استهزأوا بها، ظلما و علوا فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها ﴿٤٧﴾

وَمَا نُزِيهِهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا يَتَّيِّبُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ
 يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَّى لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي
 أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ
 أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُكَهُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾
 فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾
 وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ
 لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

و لهذا قال: (وَمَا نُزِيهِهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) الآية المتأخرة أعظم من السابقة

(وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) كالجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، آيات مفصلات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) للإسلام ﴿٤٨﴾

(وَقَالُوا) عندما نزل عليهم العذاب: - (يَتَّيِّبُ السَّاحِرُ)

يعنون موسى عليه السلام وهذا:-

○ إما من باب التهكم به ○ وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحاً

فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماءهم و هم السحرة،

فقالوا: (وَقَالُوا يَتَّيِّبُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) بما خصك الله به، و فضلك به، من الفضائل

أن يكشف عنا العذاب (عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، و استمروا على كفرهم ﴿٤٩﴾

(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) لم يفوا بما قالوا بل غدروا و استمروا على كفرهم ﴿٥٠﴾

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) قَالَ مستعلياً بباطله قد غره ملكه و أطغاه ملكه:- (قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَّى لِي مُلْكُ مِصْرَ)

ألست المالك لذلك، المتصرف فيه (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) من النيل في وسط القصور

(أَفَلَا تُبْصِرُونَ) هذا الملك الطويل العريض و هذا من جهله البليغ حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته

و لم يفخر بأوصاف حميدة و لا أفعال سديدة ﴿٥١﴾

(**أَمْرًا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**) يعني - قبحه الله- بالمهين، موسى بن عمران كلیم الرحمن

الوجه عند الله، أي: أنا العزيز، و هو الذليل المهان المحتقر فأينا خير؟ (**و**) مع هذا (**وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**)

بما في ضميره بالكلام لأنه ليس بفصيح (**فِي لِسَانِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْجُمُرَةِ حِينَ وَضَعَهَا فِيهِ وَ هُوَ صَغِيرٌ**) ٥٢

(**فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ**) ما يجعل في الايدي من الحلی

(**أَوْ جَلَّةٌ مَعَهُ الْمَلَكُتُكَةُ مُقْتَرِنِينَ**) يعاونونه على دعوته، و يؤيدونه على قوله ٥٣

(**فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**) استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه التي لا تسمن و لا تغني من جوع

و لا حقيقة تحتها و ليست دليلا على حق و لا على باطل و لا تروج إلا على ضعفاء العقول.

(**لَإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ**) فسبب فسقهم، قيص لهم فرعون، يزين لهم الشرك و الشر ٥٤

(**فَلَمَّا أَصْفَوْنَا**) أغضبونا بأفعالهم-أسخطونا (**أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**) ٥٥ (**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا**)

لِمِثْلِ مَنْ عَمِلَ بَعْمَلِهِمْ (**وَمِثْلًا لِلْآخِرِينَ**) ليعتبر بهم المعتبرون، و يتعظ بأحوالهم المتعظون.

الصحيح المسند من أسباب النزول:- مسند أحمد ٢٩١٨ - عَنْ أَبِي يَحْيَى، مَوْلَى ابْنِ عَقِيلِ النَّصَارِيِّ، قَالَ:-
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَمَا أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسَ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا، فَيَسْأَلُوا عَنْهَا؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا، فَلَمَّا قَامَ، تَلَاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْنَاهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا، فَلَمَّا رَاحَ الْغَدُ، قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، ذَكَرْتَ أَمْسَ أَنْ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَلَا تَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسَ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا؟ فَقُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْهَا، وَعَنِ اللَّاتِي قَرَأْتَ قَبْلَهَا. قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ:- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ أَنْ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنْ آلِهَتُهُمْ لَكُمْ تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:- { **وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** } [الزخرف: ٥٧] قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضْجُونَ { **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** }

قصة عيسى عليه السلام ٥٧-٦٦

[الزخرف: ٦١] قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٥٦

(**وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا**) نهي عن عبادته، و جعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام و الأنداد

و لما ضرب المشركون عيسى عليه السلام مثلا حين خاصموا محمدا ﷺ و حاجوه بعبادة النصاري إياه

(**إِذَا قَوْمُكَ**) المكذبون لك (**مِنْهُ**) من أجل هذا المثل المضروب (**يَصِدُّونَ**) يستلجون في خصومتهم لك

و يصيحون و يزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم-إذا قومك من ذلك و لأجله يرتفع لهم جلبة

و ضجيج فرحا و سرورا و ذلك عندما نزل قوله { **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا**

وَارِدُونَ } و قال المشركون: رضيينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى فأنزل الله قوله: { **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**

أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } فالذي يُلْقَى في النار من آلهة المشركين من رضى بعبادتهم إياه ٥٧

(**وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**) يعني: عيسى، حيث نهى عن عبادة الجميع، و شورك بينهم بالوعيد على من

عبدهم، و نزل أيضا قوله تعالى: (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**)

(**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**) مرأا (**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**) بالباطل-أحمد ٢٢١٦٤- عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** } (٥٨)

(**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ**) عيسى ﷺ (**أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**) بالنبوة و الحكمة و العلم و العمل

(**وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ**) يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

و أما قوله تعالى:- (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**)

فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:-

١- أن قوله: (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) أن (ما) اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح و نحوه.

٢- أن الخطاب للمشركين الذين بمكة و ما حولها و هم إنما يعبدون أصناما و أوثانا و لا يعبدون المسيح.

٣- أن الله قال بعد هذه الآية:- (**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**)

فلا شك أن عيسى و غيره من الأنبياء و الأولياء، داخلون في هذه الآية.

(**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ**) لجعلنا بدلکم ملائكة يخلقونكم في الأرض و يكونون في

الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم و أما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة

فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلا من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم (٥٩)

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٢١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٤﴾

(وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ) إن عيسى عليه السلام للدليل على الساعة و أن القادر على إيجادها من أم بلا أب قادر على بعث الموتى من قبورهم أو و إن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان و يكون نزوله علامة من علامات الساعة (فَلَا تَمُوتُ بِهَا) لا تشكن في قيام الساعة فإن الشك فيها كفر.

(وَاتَّبِعُونِ) بامثال ما أمرتكم و اجتناب ما نهيتكم (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) موصل إلى الله عز وجل ﴿١١﴾ (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) عما أمركم الله به (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) حريص على إغوائكم باذل جهده في ذلك ﴿١٢﴾ (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق نبوته و صحة ما جاءهم به من إحياء الموتى و إبراء الأكفمة و الأبرص و نحو ذلك من الآيات (قَالَ) لبني إسرائيل: (قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) النبوة و العلم بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ) أبين لكم صوابه و جوابه فيزول عنكم بذلك اللبس فجاء عليه السلام مكملًا و متممًا لشريعة موسى عليه السلام و لأحكام التوراة و أتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له و قبول ما جاءهم به (فَأَتَقُوا اللَّهَ) اعبدوا الله وحده لا شريك له و امتثلوا أمره و اجتنبوا نهيه و آمنوا بي و صدقوني

(وَاطِيعُونَ) ﴿١٣﴾

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) ففيه الإقرار بـ: -

١- توحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة و الباطنة،

٢- والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وإخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: -إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة

و الإخبار بأن (هَذَا) المذكور (صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) موصل إلى الله وإلى جنته ﴿٦٦﴾

فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) المتحزبون على التكذيب

(مِنْ بَيْنِهِمْ) كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة و رد ما جاء به إلا من هدى الله من المؤمنين الذين شهدوا له بالرسالة و صدقوا بكل ما جاء به و قالوا: إنه عبد الله و رسوله.

اِخْتَلَفَ الْفِرْقُ وَ صَارُوا شِيعًا فِيهِ:-

١- مِنْهُمْ مَنْ يَقْرُبُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ - وَ هُوَ الْحَقُّ -

٢- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ

٣- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ اللَّهُ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ) ما أشد حزن الظالمين و ما أعظم خسارهم في ذلك اليوم ﴿٦٥﴾

(هَلْ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون، و هل يتوقعون

(إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) و لا يفتنون ﴿٦٦﴾

جزاء المتقين و المجرمين ٦٧-٨٠

و إن (الْأَخِلَاءَ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة المتخالين على الكفر و التكذيب و معصية الله (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)

لأن خلتهم و محبتهم في الدنيا لغير الله فانقلبت يوم القيامة عداوة (إِلَّا الْمُتَّقِينَ) للشرك و المعاصي

فإن محبتهم تدوم و تتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله ﴿٦٧﴾

○ ثم ذكر ثواب المتقين، و أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم و يذهب عنهم كل آفة و شر

فيقول:- (يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ) لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور (وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)

و لا حزن يصيبكم فيما مضى منها و إذا انتفى المكروه من كل وجه ثبت المحبوب المطلوب ﴿٦٨﴾

(الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا) وصفهم الإيمان بآيات الله و ذلك ليشمل التصديق بها، و ما لا يتم التصديق إلا به، من

العلم بمعناها و العمل بمقتضاها (وَكَاثُرًا مُسْلِمِينَ) لله منقادين له في جميع أحوالهم

فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر و الباطن ﴿٦٩﴾

(ادْخُلُوا الْجَنَّةَ) التي هي دار القرار (أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ) نظراؤكم (تُحَبَّرُونَ) تنعمون و تكرمون

و يأتيكم من فضل ربكم من الخيرات و السرور و الأفراح و اللذات ما لا تعبر الألسن عن وصفه ﴿٧٠﴾

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) آنية الطعام (مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) لا عرى و لا خراطيم لها - تدور عليهم خدامهم

(وَفِيهَا) الجنة (مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ) هذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم و فرح، و قرّة عين، و سرور قلب فكل ما اشتتهته النفوس، من مطاعم، و مشارب، و ملابس، و مناكح،

(وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) من مناظر حسنة، و أشجار محدقة، و نعم موفقة و مبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه و أفضلها كما قال تعالى: (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ)

(وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الذي يتضمن دوام نعيمها و زيادته، و عدم انقطاعه ﴿٧١﴾

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ) الموصوفة بأكمل الصفات هي (الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أورثكم الله إياها بأعمالكم و جعلها من فضله جزاء لها و أودع فيها من رحمته ما أودع ﴿٧٢﴾

(لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) مما تتخبرون من تلك الفواكه الشهية و الثمار اللذيذة (تَأْكُلُونَ) ﴿٧٣﴾
و لما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَاوَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَهُ يَكُفِّرُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) بكفرهم و تكذيبهم (فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ) منغمرون فيه (خَالِدُونَ) فيه لا يخرجون منه أبداً ﴿٧٤﴾

و (لَا يُفْتَرُ) يخفف (عَنْهُمْ) العذاب ساعة بإزالته و لا بتهوين عذابه (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير ﴿٧٥﴾

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) بما قدمت أيديهم و الله لم يظلمهم و لم يعاقبهم بلا ذنب و لا جرم ﴿٧٦﴾

(وَنَادَاوَا) و هم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة (يَمْلِكُ) خازن النار (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليمتنا فنستريح فإننا في غم شديد و عذاب غليظ لا صبر لنا عليه و لا جلد.

* البخاري ٣٢٣٠ - عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ ۞ قَالَ: - سَمِعْتُ النَّبِيَّ ۞ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ {وَنَادَاوَا يَا مَالِكُ} [الزخرف: ٧٧] قَالَ: سُفْيَانُ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ {وَنَادَاوَا يَا مَالِ} (١)

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَدْعُونَ مَالِكًا: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا ثُمَّ يَقُولُ: {إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ} ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا

فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون/١٠٧] قَالَ: فَلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا ثُمَّ يَقُولُ: {اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون/١٠٨]

ثُمَّ يَنَاسُ الْقَوْمُ فَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَ الشَّهيقُ تُشَبِّهُ أَصْوَاتَهُمْ أَصَوَاتُ الْحَمِيرِ أَوَّلُهَا شَهيقٌ وَ آخِرُهَا زَفِيرٌ " (٢)

ف (قَالَ) لهم مالك خازن النار - حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضي عليهم: - (إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ)

١ (يا مال) بحذف الكاف منه ترخيماً و هي قراءة شاذة تعتبر كحديث من حيث الاحتجاج

في الفقه و اللغة ولكن لا يقرأ بها في الصلاة و لا يتعبد بتلاوتها. و القراءة المتواترة

٢ (طب) ج ١٣ ص ٣٥٢ ح ١٤١٧١، (ك) ٣٤٩٢، ٨٧٧٠، انظر صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ: ٣٦٩١

مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدا ﴿٧٧﴾

ثم وبَّخهم بما فعلوا فقال: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ) الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم و سعدتم

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ) فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها ﴿٧٨﴾

(أَمْ أَمْرُؤًا) أحكموا (أَمْرًا) كادوا كيدا و مكروا للحق و لمن جاء بالحق ليدحضوه بما موهوا من الباطل المزخرف

(أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون أمرا، و مدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، و ينقضه و يبطله ﴿٧٩﴾

(أَمْ يَحْسَبُونَ) بجهلهم و ظلمهم (أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ) الذي لم يتكلموا به بل هو سر في قلوبهم (وَيَجْهَرُونَ) (

كلامهم الخفي الذي يتناجون به رد الله عليهم بقوله: (بَلَى) إنا نعلم سرهم و نجواهم (وَرُسُلَنَا) الملائكة الكرام

(لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) كل ما عملوه و سيحفظ ذلك عليهم حتى يردوا القيامة فيجدوا ما عملوا حاضرا ﴿٨٠﴾

أدلة وحدانية الله ٨١-٨٩

(قُلْ) يا محمد (إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ)

فَلَوْ فُرِضَ كَانَ هَذَا وَ لَكِنْ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَ الشَّرْطُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَ لَا الْجَوَازُ أَيْضًا

كقوله: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: ٤] ﴿٨١﴾

(سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)

من الشريك و الظهير، و العوين، و الولد، و غير ذلك، مما نسبته إليه المشركون ﴿٨٢﴾

(فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا) بالباطل في جهلهم و ضلالهم (وَيَلْعَبُوا) في دنياهم -بالمحال فعلومهم ضارة غير نافعة

(حَقٌّ يُلْقَوْنَ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فسيعلمون فيه ماذا حصلوا و ما حصلوا عليه من الشقاء و العذاب المستمر ﴿٨٣﴾

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ) أنه وحده المألوه المعبود في السماوات و الأرض

فأهل السماوات كلهم و المؤمنون من أهل الأرض يعبدونه و يعظمونه و يخضعون لجلاله و يفتقرون لكماله.

(وَهُوَ الْحَكِيمُ) الذي أحكم ما خلقه، و أتقن ما شرعه فما خلق شيئا إلا لحكمة، و لا شرع شيئا إلا لحكمة

و حكمه القدري و الشرعي و الجزائي مشتمل على الحكمة

(الْعَلِيمُ) بكل شيء يعلم السر و أخفى و لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي و السفلي ﴿٨٤﴾

(وَبَارِكُ) تعالى و تعاضم و كثر خيره و اتسعت صفاته و عظم ملكه (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)

حتى إنه تعالى انفراد بعلم كثير من الغيوب و التي لم يطلع عليها أحد من الخلق لا نبي مرسل و لا ملك مقرب

و لهذا قال: (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) قدم الطرف ليفيد الحصر أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو

(وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ) في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل و من تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئاً و لا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه ﴿٨٥﴾

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ) كل من دعي من دون الله، من الأنبياء و الملائكة و غيرهم، لا يملكون الشفاعة و لا يشفعون إلا بإذن الله و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و لهذا قال: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به، و يشترط أن تكون شهادته بالحق و هو :-

١- الشهادة لله تعالى بالوحدانية ٢- و لرسله بالنبوة و الرسالة و صحة ما جاءوا به _____ :-
أصول الدين و فروعه، و حقائقه و شرائعه فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين و هؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) حقيقة ما أقروا و شهدوا به ﴿٨٦﴾

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) لئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية و من هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) فكيف يصرفون عن عبادة الله و الإخلاص له وحده؟!
فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية و هو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك ﴿٨٧﴾

(وَقِيلِهِ) شكاً إلى ربه شكواً من قومه الذين كذبوه

(يَكْرِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) كقوله (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) {الفرقان: ٣٠} ﴿٨٨﴾

(فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ) عن المشركين (وَقُلْ سَلَامٌ) لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ و لكن تألفهم و اصفح عنهم فعلاً و قولاً- هذا تهديد منه تعالى لهم و لهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد و أعلى دينه و كلمته و شرع بعد ذلك الجهاد و الجلال حتى دخل الناس في دين الله أفواجا و انتشر الإسلام في المشارق و المغرب.

(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) غب ذنوبهم، و عاقبة جرمهم ﴿٨٩﴾

٤٤-سورة الدخان-مكية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ③ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ④
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
⑦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ⑨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ⑩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ
⑪ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑫ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑬
أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑭ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑮ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑯ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ⑰ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ
وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ⑱ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑲

(حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)

هذا قسم بالقرآن على القرآن فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه ②

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أنه أنزله (فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ) كثيرة الخير و البركة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [الْقَدْرِ: ١]

التي هي خير من ألف شهر و في {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥]

فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي و الأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام

لينذر به قوما :-

١-عمتهم الجهالة ٢-و غلبت عليهم الشقاوة

فيستضيئوا بنوره و يقتبسوا من هداه و يسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي و الخير الأخروي

و لهذا قال:- (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَضُرُّهُمْ شَرْعًا لَتَقُومَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ. ③

(فِيهَا) في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ) يفصل و يميز و يكتب كل أمر قدرى و شرعى

حكم الله به و هذه الكتابة و الفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب و تميز فتطابق

الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق و آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم و أحوالهم

ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد و هو في بطن أمه ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا

و كل به كراما كاتبين يكتبون و يحفظون عليه أعماله ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة

(حَكِيمٌ) مُحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ ﴿١﴾

(أَمْرًا) صادر (مِنْ عِنْدِنَا) جَمِيعَ مَا يَكُونُ وَ يَقْدُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا يُوحِيهِ فَبِأَمْرِهِ وَ إِذْنِهِ وَ عِلْمِهِ

(إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) للرسل و منزلين للكتب و الرسل تبلغ أوامر المرسل و تخبر بأقداره ﴿٥﴾

(رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب و الرسل و كل خير ينالونه في الدنيا

و الآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) يسمع جميع الأصوات

(الْعَلِيمُ) يعلم جميع الأمور الظاهرة و الباطنة و قد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله و كتبه فحمصه بذلك هـ

بيان قدرة الله ٧-٨

من عليهم فله تعالى الحمد و المنة و الإحسان. ﴿٦﴾

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) خالق ذلك و مدبره و المتصرف فيه بما شاء

(إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ) عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق ﴿٧﴾

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود إلا وجهه (مُحْيِيٍّ وَمُمِيتٍ) هو المتصرف وحده بالإحياء و الإماتة

و سيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) رب الأولين و الآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم. ﴿٨﴾

موقف المشركين من الدعوة و القرآن ٩-١٦

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ)

منغمرون في الشكوك و الشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل ﴿٩﴾

(فَارْتَقِبْ) انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب و آن أوانه

(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)

الصحيح المسند من أسباب النزول:-* صحيح البخاري ٤٨٢١ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

إِنَّمَا كَانَ هَذَا ثَانً قَرِيشًا لَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ

حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١١] قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ، فَإِنَهَا قَدْ هَلَكَتْ قَالَ: «لِمُضَرٍّ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» فَاسْتَسْقَى لَهُمْ

فَسَقَوْا فَنَزَلَتْ: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥] فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرِّفَاهِيَّةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرِّفَاهِيَّةُ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَقَدْ مَضَى خُمْسَةُ: -الدُّخَانُ وَ الرُّومُ وَ الْقَمَرُ وَ الْبَطْشَةُ وَ اللِّزَامُ.

(يَغْشَى النَّاسَ) يعمهم ذلك الدخان و يقال لهم: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)

كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ١٢]

(أَيُّ هَلُمُّ الذِّكْرَى) كيف يكون لهم التذكر و الاتعاض بعد نزول العذاب بهم (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) محمد ﷺ

(ثُمَّ تَوَلَّوْا) أعرضوا (عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين هو مجنون و ليس برسول؟

(يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)

فوق و أن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى قالوا: و هي وقعة بدر و في هذا القول نظر ظاهر و قيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة و أنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس

قصة قوم فرعون ١٧-٣٨

و يصيب المؤمنين منهم كهية الدخان

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) ابتليناهم و اختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم

(وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) الذي فيه من الكرم و مكارم الأخلاق ما ليس في غيره

(أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) قال لفرعون و ملئه: أدوا إلي عباد الله بني إسرائيل

أي: أرسلوهم و أطلقوهم من عذابكم و سومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشيرتي و أفضل العالمين في زمانهم. و أنتم قد ظلمتموهم و استعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم

كَقَوْلِهِ: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: ٤٧]

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) رسول من رب العالمين

(أَمِينٌ) على ما أرسلني به لا أكتمكم منه شيئاً و لا أزيد فيه و لا أنقص و هذا يوجب تمام الانقياد له

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾
وَلَئِن لَّمْ تَوْتَمِنُوا لِي فَأَعْلَزُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾
وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاثَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ
مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
فَاتُّوْا بَنَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْشٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) بالاستكبار عن عبادته و العلو على عباد الله

(إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة ظاهرة و هو ما أتى به من المعجزات الباهرات و الأدلة القاهرة ﴿١٩﴾
فكذبوه و همؤا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال

(وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) تقتلونني أشر القتل بالرجم ﴿٢٠﴾

(وَلَئِن لَّمْ تَوْتَمِنُوا لِي) أي: لكم ثلاث مراتب:-

١- الإيمان بي و هو مقصودي منكم ٢- فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة (فَاعْلَزُونِ) ﴿٢١﴾

لا علي و لا لي فاكفوني شركم. ٣- فلم تحصل منهم المرتبة الأولى و لا الثانية

بل لم يزلوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.

(فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ) قد أجرموا جرماً يوجب تعجيل العقوبة. فأخبر عليه السلام بحالهم و هذا دعاء بالحال

التي هي أبلغ من المقال كما قال عن نفسه (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) ﴿٢٦﴾

(فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ) فأمره الله أن يسرى بعباده ليلاً و أخبره أن فرعون و قومه سيتبعونه ﴿٢٣﴾

(وَأَتْرَكَ^ط الْبَحْرَ رَهْوًا) بحاله ليسلكه فرعون و جنوده و ذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار اثني عشر طريقا و صار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى و قومه.

(لَإِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) فلما تكامل قوم موسى خارجين منه و قوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم و تركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا و أورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ﴿٢٤﴾ و لهذا قال: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) الآبار و الأنهار ﴿٢٥﴾

(وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) وَ هِيَ الْمَسَاكِينُ الْكَرِيمَةُ ﴿٢٦﴾

(وَنَعَمُوا كَانُوا فِيهَا فَكَرِهِينَ) عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا و يلبسون ما أحبوا مع الأموال و الجاهات و الحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة و فارقوا الدنيا و صاروا إلى جهنم و بنس المصير و استولى على البلاد المصرية و تلك الحواصل الفرعونية و الممالك القبطية بنو إسرائيل ﴿٢٧﴾ (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا^ط) هذه النعمة المذكورة (قَوْمًا آخَرِينَ) و في الآية الأخرى (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا^ط بَنِي إِسْرَائِيلَ) ﴿٢٨﴾

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَتَبْكِي عَلَى فَقْدِهِمْ وَ لَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَقَاعٌ عَبْدُوا اللَّهَ فِيهَا فَقَدْتَهُمْ فَلهَذَا اسْتَحَقُّوا أَلَّا يَنْظُرُوا وَ لَا يُؤَخَّرُوا لِكُفْرِهِمْ وَ إِجْرَامِهِمْ وَ عُتُوِّهِمْ وَ عِنَادِهِمْ. *** وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ:- {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} فَهَلْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَ لَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ وَ فِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ، فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ وَ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ بَكَى عَلَيْهِ وَ إِذَا فَقَدَ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ، وَ إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ صَالِحَةٌ، وَ لَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ خَيْرٌ، فَلَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

(وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال ثم امتن تعالى على بني إسرائيل ﴿٢٩﴾

فقال (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) الذي كانوا فيه ﴿٣٠﴾

(مِنْ فِرْعَوْنَ^ع) إذ يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم (إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا) مستكبرا في الأرض بغير الحق كقوله: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا} [القصص: ٤]

(مَنْ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين لحدود الله المتجرئين على محارمه ﴿٣١﴾

(وَلَقَدْ آخَرْتَنَاهُمْ) اصطفيانهم و انتقيانهم (عَلَىٰ عِلْمٍ) منا بهم و باستحقاقهم لذلك الفضل

(عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمي زمانهم و من قبلهم و بعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ

ففضلوا العالمين كلهم و جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس و امتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم
*البخاري ٣٤١١ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمَلَمَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَ لَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ:-

إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَ إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ﴿٣٢﴾

(وَأَنِيتُهُمْ) بني إسرائيل (مَنْ الْآيَاتِ) الباهرة و المعجزات الظاهرة (مَا فِيهِ بَلَكُوثًا مُبِينٌ) (

أي إحسان كثير ظاهر منا عليهم و حجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام ﴿٣٣﴾

انكار المشركين للبعث و جزاؤهم ٣٤-٥٠

(إِنَّ هَؤُلَاءِ) المكذبين (لَيَقُولُونَ) مستبعدة للبعث و النشور: - ﴿٣٥﴾

(إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار ﴿٣٥﴾

ثم قالوا - متجرئين على ربهم معجزين له: - (فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (

و هذا من اقتراح الجهلة المعاندين فأى ملازمة بين صدق الرسول ﷺ و أنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟

فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به و تواترت تواترا عظيما من كل وجه ﴿٣٦﴾

(أَهْمَ خَيْرٌ) هؤلاء المخاطبون (أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هُمْ سَبًّا- حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَ خَرَبَ بِلَادَهُمْ،
وَ شَرَدَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَ فَرَّقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ وَ هِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ.
وَ كَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأُولَئِكَ وَ قَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانَ كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ
وَ قَدْ كَانَتْ حَمِيرٌ - وَ هُمْ سَبًّا- كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَّوْهُ تَبْعًا
كَمَا يُقَالُ: كِسْرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفَرَسَ وَ قَيْصَرٌ لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ وَ فِرْعَوْنٌ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا
وَ النَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ.

(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) فإنهم ليسوا خيرا منهم و قد اشتروا في الإجماع

فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين. ﴿٣٧﴾

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) تعالى عن كمال قدرته و تمام حكمته

(وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ) و أنه ما خلق السماوات و الأرض لعبا و لا لهوا أو سدى من غير فائدة ﴿٣٨﴾

و أنه (مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ) أي: نفس خلقهما بالحق و خلقهما مشتمل على الحق،

و أنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له و ليأمر العباد و ينهاهم و يشيهم

و يعاقبهم. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات و الأرض ﴿٣٩﴾

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾
 ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾
 إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
 يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾
 وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِينَ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾
 فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) و هو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين و الآخرين و بين كل مختلفين (مِيقَتُهُمْ)

أي: الخلاق (أَجْمَعِينَ) كلهم سيجمعهم الله فيه و يحضرهم و يحضر أعمالهم و يكون الجزاء عليها ﴿٤٠﴾

(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) و لا ينفع مولى عن مولى شيئا لا قريب عن قريبه و لا صديق عن صديقه

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئا ﴿٤١﴾

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

فإنه هو الذي ينتفع و يرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها و سعى لها سعيها في الدنيا. ﴿٤٢﴾

لما ذكر يوم القيامة و أنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:-

١- فريق في الجنة ٢- و فريق في السعير و هم: الآثمون بعمل الكفر و المعاصي

و أن طعامهم (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) شر الأشجار و أفضعها تخرج في أصل الجحيم

(طَعَامُ الْأَثِيمِ) في قوله وَ فَعَلِهِ وَ هُوَ الْكَافِرُ ﴿٤٤﴾

و طعامها (كَالْمُهْلِ) كَعَكْرِ الزَّيْتِ - كالصديد المتن خبيث الريح و الطعم شديد الحرارة

(يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) في بطونهم ﴿٤٥﴾ (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة ﴿٤٦﴾

(خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ) وسط (الْجَحِيمِ) ﴿٤٧﴾

(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.
 *وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ يَضْرِبُهُ بِمِقْمَعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، تَفْتَحُ دِمَاعَهُ ثُمَّ يَصُبُّ الْحَمِيمُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْزِلُ فِي بَدَنِهِ
 فَيَسْلِتُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمُرَّ مِنْ كَعْبَيْهِ -أَعَادَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ. (٤٨)

و يقال للمعذب (قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَ التَّوْبِيخِ):-(ذُقْ) هذا العذاب الأليم و العقاب الوخيم
 (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك أنك عزيز ستمتتع من عذاب الله و أنك كريم على الله لا يصيبك
 بعذاب، فالיום تبين لك أنك أنت الدليل المهان الخسيس (٤٩)

جزاء المتقين ٥١-٥٩

(إِنَّ هَذَا) العذاب العظيم (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين (٥٠)
 (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات و الأحزان و غير ذلك (٥١)
 (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم (٥٢)
 (يَلْبَسُونَ) لباسهم من الحرير الأخضر (مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) غليظ الحرير و رقيقه مما تشتهيهم أنفسهم.
 (مُتَقَابِلِينَ) يقابل بعضهم بعضا بالوجوه و لا ينظر بعضهم في قفا بعض يدور بهم مجلسهم حيث
 داروا (٥٣)

(كَذَلِكَ) النعيم التام و السرور الكامل (وَنُزُجَتْهُمْ بِحُورٍ) نساء جميلات من جمالهن و حسنهن أنه يحار
 الطرف في حسنهن و ينهر العقل بجمالهن و ينخلب اللب لكمالهن (عِينِ) ضخام الأعين حسانها (٥٤)
 (يَدْعُونَ فِيهَا) الجنة (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) مما له اسم في الدنيا و مما لا يوجد له اسم و لا نظير في الدنيا، فمهما
 طلبوه من أنواع الفاكهة و أجناسها أحضر لهم في الحال من غير تعب و لا كلفة
 (ءَامِنِينَ) من انقطاع ذلك و آمنين من مضرتهم و آمنين من كل مكدر و آمنين من الخروج منها و الموت (٥٥)
 و لهذا قال: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ) ليس فيها موت بالكلية، (إِلَّا) لو كان فيها موت يستثنى لم يستثن

(الْمَوْتَةُ الْأُولَى) التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب
 *البخاري ٤٧٣٠ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي
 مُنَاد: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟
 فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ:
 وَ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ
 وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩]
 وَ هَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩]

(وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ) حصول النعيم و اندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم و كرمه فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا خير الآخرة و أعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) و أي فوز أعظم من نيل رضوان الله و جنته و السلامة من عذابه و سخطه؟ ﴿٥٧﴾ (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) القرآن (بِلِسَانِكَ) سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق و أجلها فتيسر به لفظه و تيسر معناه (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ما فيه نفعهم فيفعلونه و ما فيه ضررهم فيتركونه ﴿٥٨﴾ (فَأَرْتَقِبْ) انتظر ما وعدك ربك من الخير و النصر (إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ) ما يحل بهم من العذاب

و فرق بين الارتقاين:-

١- رسول الله و أتباعه يرتقبون الخير في الدنيا و الآخرة ٢- و ضدهم يرتقبون الشر في الدنيا و الآخرة
* فَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَ الظَّفَرُ وَ عُلُوُّ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَ لِإِخْوَانِكَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ مَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
كقوله: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]
وَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٥١، ٥٢] ﴿٥٩﴾

سورة الجاثية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤) وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَآحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥) تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦) وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧) يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠) هَٰذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١) * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفَاكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣)

الادلة على وحدانية الله ١-٦

(حَمَّ ١) يخبر تعالى خبرا يتضمن الأمر بتعظيم القرآن و الاعتناء به و أنه (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال و انفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة و الحكمة التامة. ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية و النفسية —:—

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ٣) و خلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها (ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤) (وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) و تعاقبهما عليكم (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر (فَآحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد يُبْسِئُهَا فاهتزت بالنبات و الزرع (وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ) جنوبًا و شمالًا و دُبُورًا و صَبًا بَحْرِيَّةً و بَرِّيَّةً لَيْلِيَّةً و نَهَارِيَّةً و مِنْهَا مَا هُوَ لِلْمَطَرِ و مِنْهَا مَا هُوَ لِلْقَاحِ و مِنْهَا مَا هُوَ غِذَاءٌ لِلرَّوَّاحِ و مِنْهَا مَا هُوَ عَقِيمٌ لَا يَنْتِجُ (ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥) و قَالَ أَوَّلًا {لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} ثُمَّ {ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ثُمَّ {ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} و هُوَ تَرَقَّى مِنْ حَالٍ شَرِيفٍ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ و أَعْلَى. وَ هَذِهِ الْآيَاتُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ "الْبَقَرَةِ" وَ هِيَ قَوْلُهُ:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤]

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ) القرآن بما فيه من الحجج و البينات (تتلوها عليك بالحق) متضمنة الحق من الحق فإذا كانوا لا يؤمنون بها و لا ينقادون لها (فبأي حديث بعد الله وآياته) أدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له (تؤمنون) يصدقون و يعملون؟ ⑥

ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته و عدمه إلى قسمين:—

١- قسم يستدلون بها و يتفكرون بها و ينتفعون فيرتفعون و هم المؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر إيماناً تاماً وصل بهم إلى درجة اليقين فزكى منهم العقول و ازدادت به معارفهم و ألباهم و علومهم. ٢- و قسم يسمع آيات الله سماعاً تقوم به الحجة عليه ثم يعرض عنها و يستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم تزك قلبه و لا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه. و أنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب في مقاله (أثيم) في فعله ⑦

و أن (يَسْمَعْ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ) تقرأ عليه (ثم يصير مستكبراً) على كفره و جحوده استكباراً و عناداً

(كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا) كأنه ما سمعها (فبشره بعذاب أليم) فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً ⑧

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به و اتخذ هزواً و هزواً

تهديد المكذبين بآيات ٧-١١

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) في مقابلة ما استهان بالقرآن و استهزأ به

*مسلم (١٨٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ   قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ   أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ» ⑨

(مِنْ زَوَاجِهِمْ) أمامهم (جهنم) تكفي في عقوبتهم البليغة و أنه (وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا)

من الأموال (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) و لا يغني عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا ⑩

فلما بين آياته القرآنية و العيانية و أن الناس فيها على قسمين:—أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب

العالية أنه هدى فقال: (هَذَا هُدًى) و هذا وصف عام لجميع القرآن

فإنه يهدي إلى:—

١- معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة و أفعاله الحميدة ٢- و يهدي إلى معرفة رسله و أوليائه و أعدائه و

أوصافهم ٣- و يهدي إلى الأعمال الصالحة ٤- و يدعو إليها و يبين الأعمال السيئة و ينهى عنها

٥-و يهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال ٦-و يبين الجزاء الدنيوي و الأخرى

فالمهتدون اهتدوا به فأفلحوا و سعدوا

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) الواضحة القاطعة التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه و تضاعف طغيانه

(لَهُمْ عَذَابٌ مُّؤَلَّمٌ مَّوَجِعٌ مِنْ أَشْوَأَ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١١﴾)

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ يخبر تعالى بفضلله على عباده و إحسانه إليهم بتسخير البحر

لسير المراكب و السفن بأمره و تيسيره (وَلِيَبْنِغُوا مِنْ فَضْلِهِ) بأنواع التجارات و المكاسب (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه و أثابكم على شكركم أجرا جزيلا ﴿١٢﴾

من نعم الله على عباده و على عباد بني اسرائيل ١٢-٢٢

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)

كقوله {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣] .

أي: من فضلله و إحسانه، و هذا شامل لأجرام السماوات والأرض

و لما أودع الله فيهما من الشمس و القمر و الكواكب و الثوابت و السيارات و أنواع الحيوانات و أصناف الأشجار و الثمرات و أجناس المعادن و غير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم و مصالح ما هو من ضروراته فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته و أن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته و حكمه

و لهذا قال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

و جملة ذلك أن خلقها و تدبيرها و تسخيرها دال على: —نفوذ مشيئة الله و كمال قدرته

و ما فيها من الإحكام و الإتقان و بديع الصنعة و حسن الخلقة دال على: —كمال حكمته و علمه

و ما فيها من السعة و العظمة والكثرة دال على: —سعة ملكه و سلطانه

و ما فيها من التخصيصات و الأشياء المتضادات دليل على: —أنه الفعال لما يريد

و ما فيها من المنافع و المصالح الدينية و الدنيوية دليل على: —

سعة رحمته و شمول فضلله و إحسانه و بديع لطفه و بره

و كل ذلك دال على أنه: —١-وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة و الذل و المحبة إلا له

٢-و أن رسله صادقون فيما جاءوا به فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا و لا شكاً ﴿١٣﴾

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
 مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَنبُتَ مِنَ الْأَمْثِرِ
 فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا يَبْتَهُمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
 هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ
 كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
 وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا) يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق و الصبر على أذية المشركين به
 صَفَحُوا عَنْهُمْ وَ يَحْمِلُوا الْأَذَى مِنْهُمْ-هَذَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَىٰ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لِيَكُونَ ذَلِكَ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) لا يرجون ثوابه و لا يخافون وقائعه في
 العاصين-لَا يَبَالُونَ نِعَمَ اللَّهِ (لِيَجْزِيَ قَوْمًا) فإنه تعالى سيجزي كل قوم (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم و صفحكم و صبركم ثوابا جزيلًا ﴿١٤﴾
 و هم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد و الخزي و لهذا قال:-

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل
 (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) و من أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى
 (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَعْرَضُونَ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَيْهِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿١٥﴾
 (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا) و لقد أنعمنا على (بَنِي إِسْرَءِيلَ) نعمًا لم تحصل لغيرهم من الناس و آتيناهم

(الْكِتَابَ) التوراة و الإنجيل (وَالْحُكْمَ) بين الناس (وَالنُّبُوَّةَ) التي امتازوا بها و صارت النبوة في ذرية إبراهيم

نعم الله على بني اسرائيل ١٦-٢٢

الطَّيِّبَاتِ أكثرهم من بني إسرائيل (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ)

من المآكل و المشارب و الملابس و إنزال المن و السلوى عليهم (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) في زمانهم

و يخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة :- فإنهم خير أمة أخرجت للناس ﴿١٦﴾

(وَأَتَيْنَهُمْ) آتينا بني إسرائيل (بَيِّنَاتٍ) دلالات تبين الحق من الباطل (مِّنَ الْأَمْرِ) (القدرى الذي أوصله الله إليهم. و تلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى ﷺ)

فهذه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل تقتضي الحال أن :-

١- يقوموا بها على أكمل الوجوه ٢- و أن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم

و لكن انعكس الأمر ف:- ١- عاملوهما بعكس ما يجب ٢- و افترقوا فيما أمروا بالاجتماع به

و لهذا قال :- (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) الموجب لعدم الاختلاف (بَغْيًا يَنْهَهُمْ) (

و إنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض و الظلم.

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (فيميز المحق من المبطل

و الذي حمله على الاختلاف :- الهوى أو غيره ﴿١٧﴾

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) ثم شرعنا لك شريعة كاملة :-

١- تدعو إلى كل خير ٢- و تنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي

(فَاتَّبِعْهَا) فإن في اتباعها السعادة الأبدية و الصلاح و الفلاح (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (

أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم و لا ماشية خلفه و هم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه و إرادته

فإنه من أهواء الذين لا يعلمون

و في الآية دلالة عظيمة على :-

١- كمال هذا الدين و شرفه ٢- وجوب الانقياد لحكمه ٣- ألا نميل إلى أهواء الكفرة و الملحدين ﴿١٨﴾

(إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) لا ينفعونك عند الله ف:-

١- يحصلوا لك الخير ٢- و يدفعوا عنك الشر [إن اتبعتم على أهوائهم]

(وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) المتجاوزين حدود الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) من المنافقين و اليهود و غيرهم

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أنصار بعض على المؤمنين بالله و أهل طاعته - و لا تصلح أن توافقهم و تواليهم

فإنك و إياهم متباينون و بعضهم ولي لبعض

(وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه و اجتناب نواهيه ﴿١٩﴾

(هَذَا) القرآن الكريم و الذكر الحكيم (بَصِّيرٌ لِلنَّاسِ) يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس

(وَهُدًى وَرَحْمَةً) فيحصل به الانتفاع للمؤمنين و الهدى و الرحمة

(لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بحقيقة صحته، و أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

ف: _____ :-

١- يهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين و فروعه ٢- و يحصل به الخير و السرور و السعادة في الدنيا و الآخرة و هي الرحمة. ف: _____ :- ١- تزكو به نفوسهم ٢- و تزداد به عقولهم

٣- و يزيد به إيمانهم و يقينهم ٤- و تقووم به الحجة على من أصر و عاند ﴿٥٠﴾

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) عَمَلُوهَا وَ كَسَبُوهَا (أَنْ يَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) *** نَسَاوِيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!

(سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) في الدنيا و الآخرة؟ يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَ الْكَافِرُونَ، كَمَا قَالَ: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر: ٢٠]

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ساء ما ظنوا و حسبوا و ساء ما حكموا به (أَنْ نُّسَاوِي بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَ الْفَجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ فِي هَذِهِ الدَّارِ) وَ قَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّ قَمِيًّا الدَّارِيَّ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ يَرْدُدُ هَذِهِ الْآيَةَ:- {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} ○ فَإِنَّهُ حَكَمٌ :-

١- يخالف حكمة أحكم الحاكمين و خير العادلين ٢- و يناقض العقول السليمة و الفطر المستقيمة

٣- و يضاد ما نزلت به الكتب و أخبرت به الرسل

بل الحكم الواقع القطعى أن :-

١- المؤمنين العاملين الصالحات لهم:- النصر و الفلاح و السعادة و الثواب في العاجل و الآجل كل على قدر

إحسانه ٢- و أن المسيئين لهم:- الغضب و الإهانة و العذاب و الشقاء في الدنيا و الآخرة ﴿٥١﴾

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة و ليعبد وحده لا شريك له

(وَلِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شر

(وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) جزاء أعمالهم- أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟ ﴿٥٢﴾

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ^ع أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ^ع إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ^ع ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَآ نَذَرِ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾

{أَفَرَأَيْتَ} الرجل الضال {مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ} فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. فائدة من القول المفيد

{وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية و لا يزكو عليها.

{وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ} فلا يسمع ما ينفعه {وَقَلْبِهِ} فلا يعي الخير {وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} تمنعه من نظر الحق

{فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ^ع} لا أحد يهديه و قد :-

١- سدد الله عليه أبواب الهداية ٢- و فتح له أبواب الغواية

و ما ظلمه الله و لكن هو الذي ظلم نفسه و تسبب لمنع رحمة الله عليه {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ما ينفعكم فتسلكونه

و ما يضركم فتجتنبونه كقوله {مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف: ١٨٦] ﴿٣٣﴾

{وَقَالُوا} منكرو البعث {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ^ع}

إلا مرُّ الليالي و الأيام و طول العمر-أي: إن هي إلا عادات و جري على رسوم الليل و النهار يموت أناس و يحيا أناس- و ما مات فليس براجع إلى الله و لا مجازى بعمله

{وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ^ط} و قولهم هذا صادر عن غير علم {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} فأنكروا المعاد و كذبوا الرسل الصادقين

من غير دليل دلهم على ذلك و لا برهان. إن هي إلا ظنون و استبعادات خالية عن الحقيقة

*البخاري ٤٨٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل و النهار و هو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه: **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}** قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى:-

يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل و النهار ﴿٢٤﴾

{وَلَا تُنَلِّ عَلَىٰهِمْ ءَايَتُنَا يَنبَغِي مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا} الذين قد هلكوا **{إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** فيما تقولون ﴿٢٥﴾

{قُلْ} أيها الرسول-لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث:(**اللَّهُ**) سبحانه و تعالى (**يُحْيِيكُمْ**) في الدنيا ما شاء لكم

الحياة (**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**) فيها-و إلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم لعملوا له أعمالا و تهيئوا له

كقوله **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}** [البقرة: ٢٨] أي: الذي قَدَرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَ الْآخَرَى.

{ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ} ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة

(**لَا رَيْبَ**) شك (**فِيهِ**) **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** قدرة الله على إماتتهم ثم بعثهم يوم القيامة ﴿٢٦﴾

(**وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) **{خَلَقًا وَ مُلْكًا وَ عِبُودِيَّةً}**-يخبر تعالى عن سعة ملكه و انفراده بالتصرف و التدبير في

جميع الأوقات و أنه **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}** و يجمع الخلائق لموقف القيامة

(**يَوْمَذِيُخْشِرُ الْمُبْطِلُونَ**) يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق و كانت أعمالهم

باطلة لأنها متعلقة بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق و اضمحلت عنهم و فاتهم

الثواب و حصلوا على أليم العقاب ﴿٢٧﴾

*ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة و هوله ليحذره العباد و يستعد له العباد فقال:

{وَتَرَىٰ} أيها الرائي لذلك اليوم **{كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ}** على ركبها خوفا و ذعرا و انتظارا لحكم الملك الرحمن.

*الترمذي ت شاكر ٢٣٨٢-عن عَقِبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ.....فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ.....

{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا} كَقَوْلِهِ: **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ}** [الزمر: ٦٩]

إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، و هل قاموا بها فيحصل لهم الثواب و النجاة؟

أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ ○ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى ○ و أمة عيسى كذلك

○ و أمة محمد كذلك و هكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به

و يحتمل أن المراد بقوله: **{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا}** إلى كتاب أعمالها و ما سطر عليها من خير و شر

(**الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) و أن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه ﴿٢٨﴾

○ و يحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية و يدل على هذا قوله: { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ }^{٤٥}

هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل-يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَ لَا نَقْصٍ كَقَوْلِهِ {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]

{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الحَفْظَةَ أَنْ تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿٢٩﴾

{ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }

إيماننا صحيحا و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات و مستحبات

{فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} التي محلها الجنة و ما فيها من النعيم المقيم و العيش السليم

*البخاري ٤٨٥٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبِّرِينَ، وَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ:- أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِمَّا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذَّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُوْهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رَجُلُهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، هُنَالِكَ تَمْتَلِي وَ يَزُوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَ أَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا

{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ} أي: المفاز و النجاة و الريح و الفلاح (الْمَيِّينُ) الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل

خير و اندفع عنه كل شر {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله فيقال لهم توبيخا و تقريعا:-

{أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلُو عَلَيْكُمْ} و قد دلتكم على ما فيه صلاحكم و نهتكم عما فيه ضرركم و هي أكبر نعمة

وصلت إليكم لو وفقتم لها {فَأَسْتَكْبَرْتُمْ} و لكن استكبرتم عنها و أعرضتم و كفرتم بها فجنيتم أكبر جنابة

{وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} و أجرمتم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴿٣١﴾ و يوبخون أيضا بقوله:

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ} منكرين لذلك:- {مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ} ما نعرفها

{إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} ما نتوقع وقوعها إلا توهما (أي مرجوحا) {وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ} (

و ما نحن بمتحققين أن الساعة آتية فهذه حالهم في الدنيا و حال البعث الإنكار له و رد قول من جاء به ﴿٣٢﴾

*جاء في القول المفيد:-

لأن تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي لأن المعاصي صادرة عن الهوى و هذا نوع من الشرك